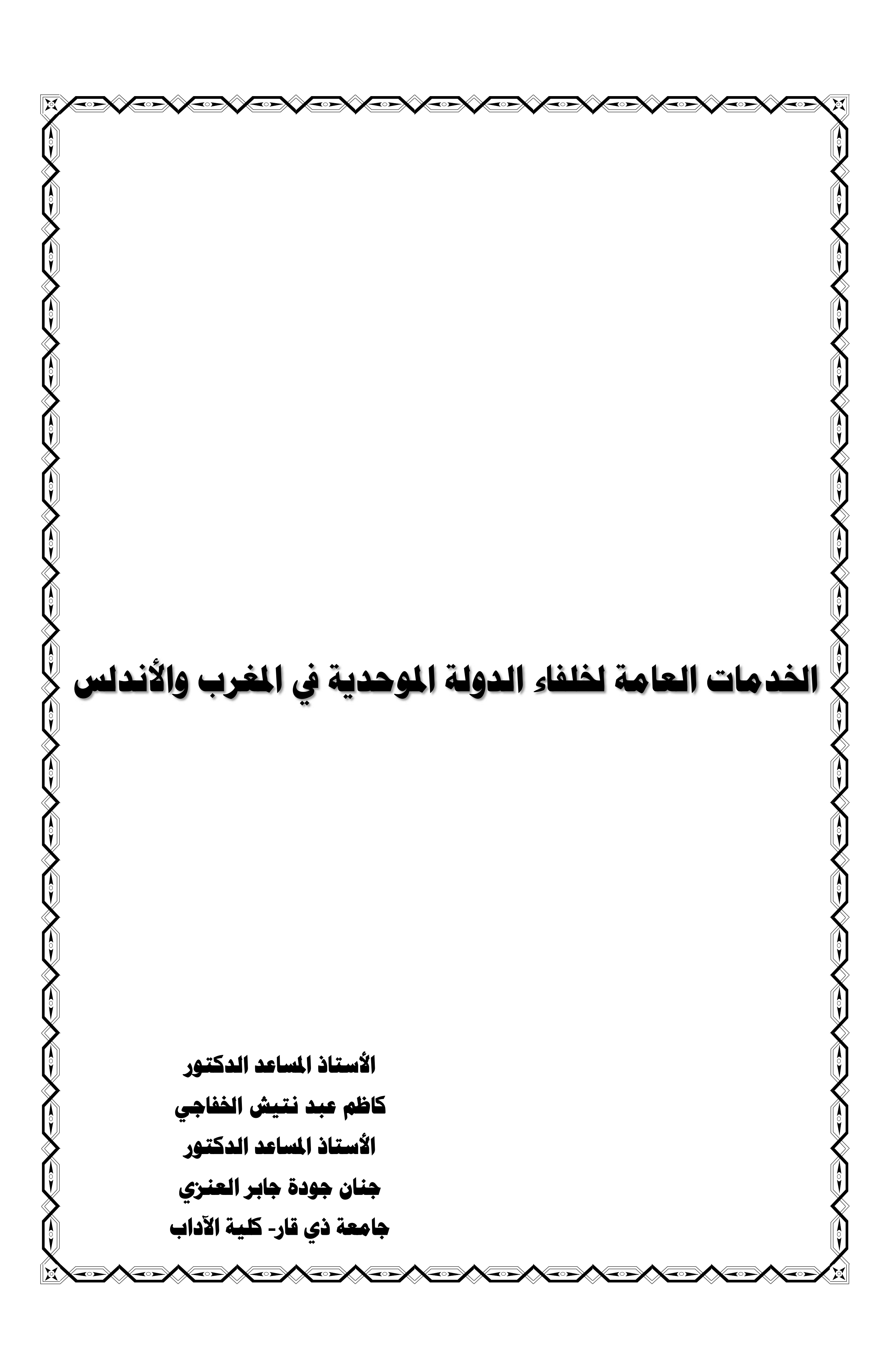
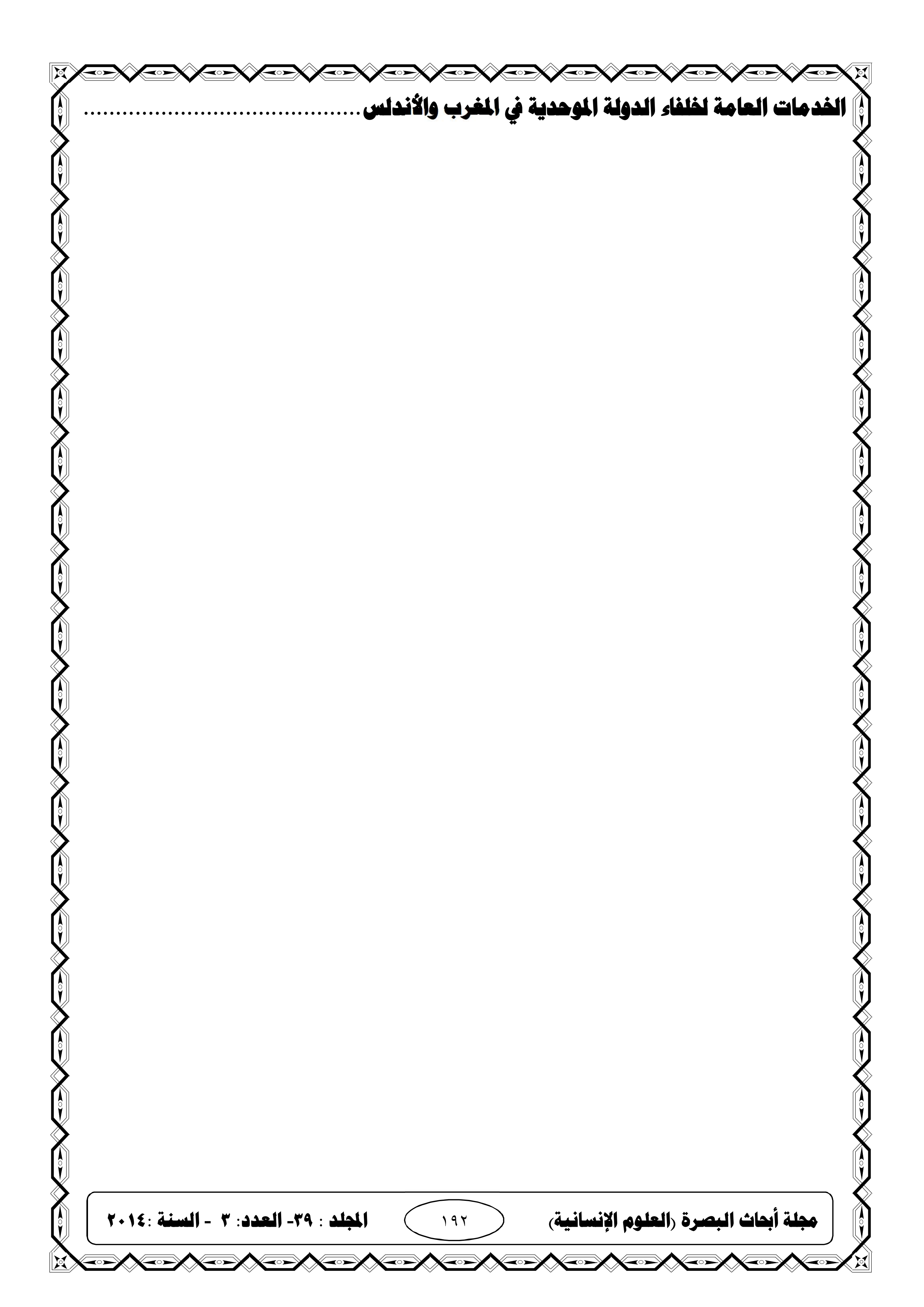


الخدمات العامة لخلفاء الدولة الموحدية في المغرب والأندلس

الأستاذ المساعد الدكتور
كاظم عبد نتيش الخفاجي
الأستاذ المساعد الدكتور
جنان جودة جابر العنزي
جامعة ذي قار- كلية الآداب



الخدمات العامة لخلفاء الدولة الموحدية في المغرب والأندلس

الأستاذ المساعد الدكتور
كاظم عبد نتيش الخفاجي
الأستاذ المساعد الدكتور
جنان جودة جابر العنزي
جامعة ذي قار- كلية الآداب

ملخص البحث

تناولت هذه الدراسة الخدمات العامة التي قدَّمها خلفاء الدولة الموحدية لرعاياهم في المغرب والأندلس في جوانب الحياة المختلفة من خلال تحقيق العدل والمساواة، والاهتمام بالمجالات العلمية، والصحية، والعمرانية، والاقتصادية ، ومحاربة الظواهر الاجتماعية الشاذة، وقصدنا من تلك الدراسة الكشف عن مدى قيام السلطة السياسية الإسلامية الممثلة بالدولة الموحدية في أداء مهامها اتجاه الرعية، فضلاً عن ذلك ابتغت الدراسة اظهار الجوانب الحضارية التي كانت تتمتَّع بها الدولة الموحدية في المغرب والأندلس ، وخلص البحث إلى نتائج عدَّة ، من أبرزها أنَّ الدعوة الدينية التي قامت على أساسها الدولة كان لها أثرٌ كبير في تقديمها الخدمات لرعاياها إذ كانت ترى فيها أنها الجسر الرابط بينها وبينهم ، وأحدى السبل التي تعطي الديمومة والاستمرار بقوَّتها.

مدخل تاريخي

تعد الكتابة في موضوعات تتعلق بمسؤوليات الحاكم إزاء رعاياه في تاريخنا الإسلامي ضرورة ملحة، وتتجلى هذه الضرورة كما نعتقد في بُعدين هما:

أولهما: أنَّها تكشف عن بيان مدى قيام السلطة السياسية في الدولة الإسلامية بأداء وظائفها إزاء رعاياها، ومن ثمَّ يمكن أنْ تُمثِّل تلك الأنظمة أمثلة مناسبة يمكن أنْ يحتذى بها في الوقت الحاضر، بغض النظر عن توجهاتها العقدية والسياسية.

وثانيهما: إبراز المعطيات التاريخية والحضارية التي يحفل بها تاريخنا الإسلامي.

وقبل أنْ نلج في صلب الموضوع، نرى من المفيد أنْ نُعطي لمحة اجمالية عن دولة الموحدين، لضرورة تقتضيها منهجية البحث في فهم الكيفية التي قامت عليها تلك الدولة، ولِما له من أثر في فَهْم طبيعة الخدمات التي قَّدمها خلفاؤها.

ظهرت دولة الموحدين على أثر الدعوة التي نهض بها محمد بن تومرت بعد عودته من رحلته المشرقية سنة ٥١٠هـ/١١١٦م[١]، تلك الرحلة التي كان لنتائجها أثر كبير في حياته لخصَّها أحد الباحثين بما يأتي : ((ما

أن وصل آبن تومرت إلى قريته بعد هذه الرحلة الطويلة ، حتى كان يتوفر على زاد ثري من العلوم العقلية والشرعية ، وفكر نقدي مقارن ، وروح ثائرة على مظاهر الفساد السياسي والأخلاقي ، وتجربة في ممارسة الدعوة والتغيير، وتضافرت كل هذه العناصر لتُشكّل بنية الدعوة التي اعتزم القيام بها ، والأساليب التي أجراها عليها ، ولترسم بالتالي مستقبل حياته بل مستقبل حياة المنطقة إلى أجيال بعيدة))[٢] ، وذهب باحث آخر إلى أنَّه عاد إلى موطنه وهو يظن نفسه مبعوث العناية الإلهية على رأس المائة السادسة تأثراً بحديث رسول الله (ﷺ) " **إنَّ الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها**[٣] ".

ويبدو أنَّ نشأته الدينية وسماعه حديث رسول الله (ﷺ) إلى جانب مؤثرات أخرى شكّل عنده هاجساً بتكوين دولة تُبْنَى على مفاهيم الدين الإسلامي، الذي جعل من قيمه، ومعاييره النسق الأساس في بنية مشروعه السياسي، وخطابه الفكري متبعاً منهجين متوازيين ومتكاملين لتحقيق ذلك هما: المنهج تربوي، والمنهج ثوري، إيماناً منه بأنَّ التغيير الشامل لا يكون إلا باحتذاء هذين السبيلين[٤].

وتأسيساً على ما تقدَّم ، حرص محمد بن تومرت على صبغ دولته بالمظهر الديني ، وإثبات أنَّ سلطته نابعة منه بوصفه مصدراً من مصادر القوة ، وفيه يكمن الحل لجميع ما يعاني منه الناس من مشكلات وأوضاع سيئة، ويفي بمتطلباتهم جميعها، فمارس دور المصلح في المجتمع المغربي ، وتمكّن من خلال ذلك العمل أنْ يقيم دعائم دولة منتظمة حتى وافته المنية سنة ٥٢٤ هـ/ ١١٢٩م[٥] ، وكان قُبَيْل وفاته قد أسند قيادة الدولة إلى صاحبه وتلميذه عبد المؤمن بن علي (٥٢٤ – ٥٥٨هـ/١١٢٩-١١٦٢م) الذي أكمل مشروع آبن تومرت وتمكن من القضاء على دولة المرابطين في المغرب بعد استيلائه على عاصمتهم مُرَّاكش[٦] سنة ٥٤١ه/١١٤٦م[٧]، ثم أخذ يتطلع للسيطرة على الأندلس ، فأرسل أول جيش إليها في عام ٥٤١هـ/١١٤٧م[٨]، وما إنْ حل عام ٥٥١هـ/١١٥٦م حتى سيطر على غرناطة التي كانت تمثل آخر مَعْقل للمرابطين في الأندلس[٩].

وبعد وفاة عبد المؤمن بن علي في سنة ٥٥٨هـ/١١٦٢م تعاقب على خلافة الدولة الموحدية اثنا عشر خليفة، كان أولهم ولده أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن (٥٥٨-٥٨٠ه/١١٦٣-١١٨٤م)، الذي وصف بأنه كان ((**حسن السياسية والتدبير، مصيب الرأي، محباً في الجهاد، لَمَّا ولي أخذ بنهج أبيه وسلك سبيله...**))[١٠]، وقد توفي على أثر جرح أصيب به بعد معركة خاضها في الأندلس[١١].

خلفه في الحكم ولده يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن (٥٨٠-٥٩٥ه/ ١١٨٤-١١٩٩م)، الذي شهدت الدولة الموحدية في عهده ازدهاراً كبيراً في المغرب والأندلس ويعضد ذلك ما ذكره آبن عذاري لَمَّا أصاب الناس من حَزَنٍ عند وفاته بقوله :((**... فتصدَّعت لفقده الجمادات، وتفطَّرت لمصابه القلوب القاسيات، وكذب الكافة من العامة بوفاته وصارت تصرخ حيث سارت بحياته، فآونة يجعلونه مرابطاً (ببلاد الأندلس) على استكتام، وتارة يثبتونه حاجَّاً إلى بيت الله الحرام، تمسكاً بُحبِّه**))[١٢].

وتولى الخلافة بعده ولده محمد الناصر(٥٩٥-٦١٠هـ/١١٩٨-١٢١٣م) الذي شهد عهده إنجازات عدة على مختلف الصُعُد السياسية ، والعسكرية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والفكرية ، والعمرانية ، ومع ذلك يرى أحد الباحثين المحدثين أنَّ أواخر حكمه كانت بداية انحدار الدولة الموحدية ؛ بسبب فشله في إدارة دولته المترامية الأطراف بمركزية ، فضلاً عن هزيمته في معركة العقاب(١٣) سنة٦٠٩هـ/١٢١٢م أمام النصارى ، وختم حياته بتولية صبي تغلَّب عليه أشياخ الموحدين ، وبوفاته توالت مظاهر الانحلال(١٤)، فيما يستشف من رواية آبن خلكان(ت ٦٨١هـ/) أنَّ الضَّعْفَ دب في الدولة الموحدية في خلافة ولده المستنصر أبي يعقوب يوسُف بن محمد (٦١٠-٦٢٠هـ/١٢١٣-١٢٢٣م) ، إذ وصفه **(أنَّه كان مشغوفاً براحته ، فلم يبرح عن حضرته ، فضعفت الدولة في أيامه ، ولم يُخَلِّف ولداً)** (١٥) ، أن عدم وجود من يخلف المستنصر بعد وفاته فتح الباب على مصراعيه لحدوث صراع أسري بين أبناء عبد المؤمن على زعامة الموحدين فمع أنهم أتفقوا على مبايعة أبي محمد عبد الواحد بن يوسُف بن عبد المؤمن إلاَّ أنَّهم انقلبوا عليه، وقتلوه بعد أشهر عدة (١٦) ، ورأى محمد عبد الله عنان أن اختياره للخلافة من قبل شيوخ الموحدين على الرغم من كبر سنه الذي جاوز الستين ، كان لحكمة مزدوجة أولها ليكون أداة طيعة بأيديهم وبالتالي يقبضون على زمام الحكم ، وثانيهما لتكون خلافته فترة انتقالية ليتسنى لهم حسم خلافاتهم فيها والاتفاق على الخليفة الحقيقي(١٧) .

والملاحظة المهمة هنا أنَّه كان في الوقت الذي بويع فيه عبد الواحد في مُرَّاكِش امتنع عن بيعته ابن أخيه أبو محمد عبد الله بن يعقوب الذي كان حاكماً على مدينة مرسيه(١٨) في الأندلس بتشجيع من وزيره عبد الرحمن بن يوجان(١٩) ، وأشار عليه أنَّه أحق منه في الأمر، فخرج ولقَّب نفسه بالعادل سنة٦٢١هـ/١٢٢٤م إلَّا أنه لم يدم بالحكم سوى ثلاث سنوات؛ إذ انقلب عليه الموحدون في مُرَّاكِش وقتلوه سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٧م(٢٠).

أدى مقتل العادل إلى حدوث نزاع بين اثنين من أُسرة عبد المؤمن على السلطة ، هما يحيى بن محمد الناصر الذي بايعه أشياخ الموحدين في مُرَّاكِش سنة ٦٢٤هـ /١٢٢٧م ولقَّب نفسه بالمعتصم بالله ، وعمه أبو العلاء إدريس بن يعقوب المنصور الذي كان أميراً على اشبيلية(٢١) ، وأعلن نفسه خليفة أيضاً بنفس العام أي ٦٢٤هـ/١٢٢٧م وتسمى بالمأمون وعبر إلى المغرب وسيطر على مُرَّاكِش التي هرب منها المعتصم يحيى آبن الناصر حيث بقي ينازع المأمون وولده الرشيد حتى سنة٦٣٣هـ/١٢٣٥م إذ قُتِل من قَبل الأعراب وحُمِل رأسُهُ إلى الرشيد في مُرَّاكِش(٢٢).

عمد المأمون بعد أنْ سيطر على الحكم إلى اتخاذ إجراءات عدة كان منها قتل أشياخ الموحدين الذين ساندوا يحيى بن محمد الناصر، وإعلان بطلان إمامة محمد بن تومرت المهدي، وكذب عصمته، وأرسل الكتب إلى الولايات كافة يوضح ذلك(٢٣)، بيد أنَّ تلك الإجراءات انعكست سلباً على استقرار الدولة الموحدية وزادت من تفككها، وانقسامها، فكانت سِنِي حكمه عبارة عن صراع ومحن كما وصفها آبن أبي زرع، وأودت في نهاية الأمر بحياته سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٣م(٢٤).

وأعقب المأمون في الخلافة ولده عبد الواحد بن إدريس الذي تلقَّب بالرشيد (٦٣٠-٦٤٠هـ/١٢٣٣-١٢٤٢م)، وكان صغير السن لا يتجاوز عمره الأربع عشرة سنة ، وقد أوصلته أمه إلى الحكم بعد أن اتفقت مع قادة الجيش ، وبمنحهم امتيازات كثيرة ، منها : اعطاؤهم مُرَّاكِش فيئاً لهم، الأمر الذي أدى إلى نزاع كبير بينهم وبين أهلها ، فضلاً عن عدم الاستقرار السياسي ، فقد شهدت البلاد أوضاعاً اقتصادية صعبة بخاصة في الأندلس الذي بلغ فيها سعر القفيز[٢٥] من القمح ثلاثين ديناراً[٢٦] ، وفي عهده أعلن بنو عبد الواد المنتسبين إلى قبيلة زناته البربرية بزعامة يغمراسن بن زيان[٢٧] في تلمسان الاستقلال عن الدولة الموحدية بعد أن كانوا مرتبطين بها منذ عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي سنة ٥٣٩هـ/١١٤٥م[٢٨] .

توفي الرشيد سنة ٦٤٠هـ/ ٢٤٢ م بعد أن غرق في صهريج ماء[٢٩] ، وتولى الخلافة بعده علي بن إدريس المأمون ولُقِّب بالسعيد وسُمِّي بالمعتصم بالله سنة (٦٤٠-٦٤٦هـ/١٢٤٢-١٢٤٨م) وقد شهد عهده بروز أكثر من قوة في المغرب متمثلة ببني عبد الواد، وبني مرين[٣٠] الذين ملكوا أكثر بوادي المغرب، فضلاً عن تَسَمِّي والي إفريقية بأمير المؤمنين ؛ احتقاراً لدولة السعيد كما يرى آبن أبي زرع[٣١] ، وعلى الرغم من هذا الوضع الصعب إلّا أنَّ السعيد بذل جهوداً كبيرة من أجل أعادة وحدة الدولة الموحدية والقضاء على تلك القوى المنفصلة، وقد نجح في مشروعه إلى حد كبير لولا مقتله بالقرب من تلمسان[٣٢] على يد مجموعة من الزيانيين سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م[٣٣] .

وتولى الخلافة من بعده أبو حفص عمر بن إسحاق بن يوسُف بن عبد المؤمن ، ولُقَّب بالمرتضى(٦٤٦-٦٦٥هـ/١٢٤٨-١٢٦٦م)، وكان والياً على رباط الفتح[٣٤] في عهد السعيد[٣٥]، وعلى الرغم من أن عهده كان عهد دعه وأمان ورخاء ، لم ير أهل مُرَّاكِش مثلها على حد قول أحد المؤرخين[٣٦]، على حين أنَّ المصادر لم تسجل له أي نشاط خدمي في المغرب والأندلس، ولعل سبب ذلك كان يعود إلى انشغاله بكيفية مواجهة المرينيين الذين زادوا من هجماتهم على مناطق نفوذ الموحدين فسيطروا على مدن عدة في المغرب الأقصى[٣٧]، كما أنهم – المرينيين- تحالفوا مع آبن عمه إدريس بن محمد بن عمر الملقب بأبي دبوس وساعدوه ضد المرتضى في الوصول إلى كرسي الخلافة سنة (٦٦٥-٦٦٨هـ/١٢٢٦-١٢٦٩م) وفق شروط وضعها على نفسه، إلّا أنَّه لم يف بوعوده للمرينيين فانقلبوا عليه وقتلوه ، وسيطروا على مُرَّاكِش في المحرَّم من سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م فأنهار حكم الموحدين ، وسقطت دولتهم[٣٨].

وبذلك تكون دولة الموحدين قد عمرت منذ استيلائهم على مُرَّاكِش عاصمة المرابطين سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م حتى سقوطها بيد بني مرين سنة ٦٦٨هـ/١٢٦٩م مائه وسبع وعشرون سنة، تمتعت فيها بالرقي والازدهار في المجالات شتى منذ عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي حتى نهاية حكم حفيده الناصر وهي تمتد من سنة ٥٤١هـ/١١٤٦م وحتى هزيمتهم في معركة العقاب سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م.

وإذا كانت مسألة تقديم الخدمات ترتكز على أضلاع ثلاثة: **أولها** يتعلق باستقرار الدولة من الناحية السياسية، **وثانيها** رغبة الحاكم في تقديمها لرعيته، **وثالثها** الأوضاع الاقتصادية، فكلما كانت الدولة ثرية

أمكنها ذلك من تقديم أفضل الخدمات لرعاياها، ولتوفر هذه العوامل خلال مدة حكم الخلفاء الموحدين الأوائل يستطيع الباحث في المظان العربية أنْ يجد العديد من النصوص التي تؤكد تقديمهم للخدمات وفي جوانب متعدد من مرافق الحياة، إذ نظروا إليها على أنَّها تمثل حاجة حيوية وماسة لرقي الدولة ، فضلاً عن ذلك أنَّها تعد معياراً وتعبيراً حياً في قياس اهتمامها برعاياها بمختلف شرائحهم، ، وإنَّها بلا شك ستسهم في صيرورة الدولة وديمومتها، مستندين في ذلك على تأكيد الإسلام في أنْ يكون الحاكم في خدمة الناس ورعاية حقوقهم، والمتكفل بإقامة حكم الله في الأرض وعليه تقع مسؤولية استثمار المستلزمات المادية والمعنوية التي وفرها الله في خدمة عباده ، ولعل ذلك هو الذي كان وراء مدح آبن جبير(ت٦١٤ﻫ/١٢١٧م) لهم قائلاً: " **وليتحقق المتحقق ويعتقد الصحيح الاعتقاد أنَّه لا إسلام إلا ببلاد المغرب، لأنَّهم على جادة واضحة لا بينات لها ... كما أنَّه لا عدل ولا حق ولا دين على وجهة إلا عند الموحدين أعزهم الله فهم آخر أئمة العدل في الزمان**"(٣٩) ، بغض النظر عن مصداقية كلام آبن جبير فإنَّه يظهر أنَّ خلفاء الدولة الموحدية قد أظهروا اهتماماً بنشر العدل في مجتمعهم لَما له من أهمية في كسب ود رعيتهم، فضلاً عن تقديم الخدمات في المجالات الأخرى التي يمكن رصدها بما يأتي:

خدماتهم في مجال العدل والمساواة

اعطى خلفاء الدولة الموحدية لهذا المرفق الحيوي أهمية خاصة لَما له من مساس في تحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس من مساواة وإنصاف المظلومين ، وانعكس هذا التوجه لديهم منذ وقت مبكر، إذ كان الخليفة عبد المؤمن يلبس ملابس العامة ويخرج حتى يقف على حقيقة الأمور(٤٠)، وقد اعتنى الخليفة يعقوب المنصور بن يوسُف بن عبد المؤمن بتحقيق العدل وإنصاف المظلومين من رعيته ، ويظهر ذلك واضحاً من خلال ما وصِف به إذ ((**نصب ميزان العدل ، وبسط أحكام الناس على حقيقة الشرع ، ونظر في أمر الدين والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأقام الحدود حتى في أهله وعشيرته والأقربين ، كما أقامها في سائر الناس أجمعين...**))(٤١) ، إذ كان يتفقد أحوال الرعية من دون أنْ يتكل على أحد من مسؤولي دولته(٤٢)، وفي أحيان أخرى كان يعطي أوامره بتفقد أحوال رعيته لخواصه أو أهل بيته ، ففي سنة ٥٦١ﻫ/١١٦٦م أمر أخيه بتفقد أحوال بلاد أفريقية ورفع مظاليمها(٤٣)، وحرص على إقامة مجلس خاص للنظر بالمظالم كان يُعْقَد كل يوم سبت يحضره بنفسه ، ويستمع فيه لكل ظُلاَمَات الناس بغية إنصافهم ، ويحضر معه مسؤولو المؤسسات الإدارية ، خشية أنْ يمارسوا سطوتهم في هضم حقوق الفقراء من الرعية ، (٤٤)، ومما يؤثر عن هذا الخليفة أنَّه كان يحرص على التحقق من كل شكوى ترفع له عن طريق بعض الأشخاص الموثوق بهم حيث يزودونه بالمعلومات بصحة الدعوى أو بطلانها (٤٥) ، كما أنَّه كان يسأل الناس عندما يفدون عليه عن سيرة عُمَّالهم ، وقضاتهم ، وولاتهم ، ويتشدد عليهم في عدم المجاملة أو الخوف وأنَّها شهادة يسألون عنها يوم القيامة ، وفي هذا الشأن يورد المُرَّاكشي ما نصه :((**وكان إذا وفد**

عليه أهل بلد فأول ما يسألهم عن عمالهم وقضاتهم وولاتهم ؛ فإذا أثنوا خيراً قال: اعلموا أنكم مسئولون (مسؤولون) عن هذه الشهادة يوم القيامة فلا يقولن امرؤ منكم إلا حقاً ، وربما تلا في بعض المجالس " يَا أيُهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ(٤٦) "))(٤٧) .

وأظهر كذلك الخليفة محمد الناصر حرصاً كبيراً على متابعة سيرة عماله مع الرعية ، والتدخل في حالة اساءتهم وتقصيرهم بحقوق رعيتهم ؛ وذلك من خلال قيامه بتفقد أحوال المدن وسماع شكاوى الناس ، ومِمَّا ذكر في هذا الشأن أنَّه عندما نزل في مدينة فاس لتفقد أحوالها سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٧م حيث تجمع على بابه عددٌ من الناس اشتكوا من عاملها ، كما اشتكى عدد آخر من عامل مكناس لذلك أصدر الناصر أمراً بمعاقبة هؤلاء العمال وإرجاع حقوق الرعية وهذا ما أكده ابن عذارى قائلاً: ((**وفي سنة أربع وستمائة، ففي صدر المحرم منها نزل – أي الناصر- بظاهر مدينة فاس وفيها تجدد النظر في إشغال العمال ووقع البحث عما الى نظرهم من الأعمال، وازدحمت على باب الخليفة قبائل من أقطار المدينة وأخلاط من الناس مشتكين بعامل فاس ، وكان ابو الحسن بن أبي بكر وبعامل مكناس أبي الربيع بن أبي عمران ، فنكبا جميعاً واستصفى ما وجد لهما من أموال وأثاث وبقي كل منهما محبوساً في بلد عمله))**(٤٨) ، وفي عهده أمر وزيره أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص(٤٩) بمهمة النظر في المظالم ، فكان يجلس في يوم السبت من كل أسبوع للاطلاع على شكاوى المتظلمين والسائلين(٥٠) .

خدماتهم في المجال العلمي

حث الإسلام على العلم والتعلّم والسعي لتحصيله ، وجعل للمعرفة مكانة مرموقة على المستوى الديني والاجتماعي مدللاً على ذلك في مواضع مختلفة من سور القرآن الكريم ومنها قوله تعالى:{أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ }(٥١) ، وقوله تعالى :{وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ }(٥٢) ، وكما جاء في الاحاديث النبوية الشريفة التي تربو على الحصر ما يحض على طلب العلم ومنها قوله (ﷺ) : ((**طلب العلم فريضة على كل مسلم**))(٥٣) ، وقوله أيضاً ﷺ ((**اطلبوا العلم ولو بالصين ، فإنَّ طلب العلم فريضة على كل مسلم ، إنَّ الملائكة تضع اجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب**)) (٥٤) .

وإلى جانب هذين المصدرين الكريمين شكل فكر المهدي بن تومرت مؤسس دولة الموحدين في المغرب مرتكزاً آخر في العناية بالجانب المعرفي في الدولة الموحدية ، والذي أنماز بمرونته العقلية ، وتحرره من طوق المذهب العقائدي الواحد وإسقاطاته ، فأحدثت آراؤه ثورة شاملة طالت جميع البُنى الأساسية في بلاد المغرب السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والفكرية ، فغلبت صفة العلم والتعلُّم في مجتمع الموحدين تأثراً به واتباعاً لتعاليمه مِمَّا جعل الخلفاء الموحدين يشجعون المعارف الشائعة في عهدهم تشجيعاً مادياً ومعنوياً(٥٥) ، منطلقين من قوله : ((**العلم أعز ما يطلب وأفضل ما يكتسب وأنفس ما يدخر وأحسن ما**

يعمل ، العلم الذي جعله الله سبب الهداية إلى خير هو أعز المطالب وأفضل المكاسب وأنفس الذخائر وأحسن الأعمال))[٥٦] .

ولم يأت اهتمام الخلفاء الموحدين بالعلم وتقديمهم الخدمات في هذا المجال من فراغ ، بل كانوا هم علماء دولتهم ويظهر ذلك واضحاً من المواصفات التي ذكرها المؤرخون ، فقد وصف آبن الأثير(٦٣٠هـ/١٢٣٣م) مؤسس دولتهم بالقول:((**كان فقيهاً فاضلاً ، عالماً بالشريعة ، حافظاً للحديث عارفاً بأصول الدين والفقه متحققاً بعلم العربية**))[٥٧] ، وقال عنه آبن أبي زرع : ((**كان المهدي أوحد عصره في علم الكلام وعلوم الاعتقاد ، حافظاً للحديث والفقه ، له لسان وفصاحة...**))[٥٨]، ووصفه آبن خلدون بأنَّه كان: ((**بحراً متفجراً في العلم**))[٥٩]، وكان خليفته عبد المؤمن محباً للعلم والمعرفة طالباً لهما[٦٠] ، فيما عرف الخليفة يوسُف بن عبد المؤمن بثقافته الواسعة ، فوصِف بأنَّه كان عالماً بالحديث والفقه واللغة ، وله معرفة في العلوم الشرعية ، والأصولية[٦١] .

وقد كانت أول الخدمات المقدمة من الخليفة الموحدي في المجال العلمي عنايته بالطفل الذي يعد اللبنة الأساسية في المجتمع ؛ من خلال اتباع المناهج التربوية الصحيحة بوصفها الطريقة المُثلى في بناء المجتمع الفاضل ، فذكر آبن القطَّان (ت ٦٢٨ه/١٢٣١م)عن الخليفة عبد المؤمن ما نصه : ((**ومن مكارمه العظيمة رضي الله عنه حَضَّه الناس على العلم ، وإرادته لهم ولبنيهم ما يريده لنفسه ولبنيه ، واستدعاؤه الصبيان الصغار الأسنان من أبناء إشبيلية ، وقرطبة ، وفاس ، وتلمسان إلى حضرته العلية ؛ ليعلمهم ويحفظهم القرآن ، وحديث النبي(ﷺ) ، فانتخب الأولاد النجباء الحفاظ من كل بلد ، ووجهوا محسناً إليهم مزودين ... وأقاموا كذلك تحت جراية واسعة ، وجباية بالغة ...**))[٦٢] ، وفيما يخص المناهج التي كان هؤلاء الطلبة يدرسونها ، فقد أعطى صاحب (كتاب الحلل الموشية) تفصيلاً عنها وهي التدريب على حفظ مؤلفات المهدي بن تومرت، ثم يأخذهم يوماً للسباحة في بحيرته التي صنعها خارج بستانه، ويوم آخر لركوب الخيل، ويوماً للرمي بالقوس، ويجتمع بهم بعد صلاة كل جمعة ليمتحنهم بما درسوه، وكان يعطي الهدايا للمتميزين منهم [٦٣].

وباستقراء المعارف التي كان يدرسها النشيء الجديد يتضح انها تنقسم إلى مناهج نظرية فقهية، وأخرى عملية رياضية، وهي كما تبدو لم تكن مناهج موضوعة بشكل اعتباطي وانما وفق خطة تربوية مدروسة تستند على حديث الرسول الكريم محمد (ﷺ) من أجل ترسيخ فكر واراء صاحب الدعوة الموحدية .

ومن الأمور الاخرى التي شجَّعت ونشَّطت الحالة الفكرية والعلمية في عهد عبد المؤمن بن علي كرمه السخي على العلماء ، والفقهاء ، والادباء ، وفي هذا الخصوص ذكر المُرَّاكشي ما نصه: ((**كان عبد المؤمن مُؤْثِرا لأهل العلم، محباً لهم، محسناً إليهم، يستدعيهم من البلاد إلى الكون عنده والجوار بحضرته، يُجْري عليهم الأرزاق الواسعة، ويظهر التنويه بهم والإعظام لهم**)) [٦٤]، إذ يستشف من عبارة الأرزاق الواسعة

الواردة في النص أنَّ هناك انفاق مادي كبير، ولعل ما يعضد من ذلك ما ذُكر في ترجمة أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري(٦٥) أنَّه كان يصله ربما في المرة الواحدة بخمسمائة دينار(٦٦) فضلاً عن الدعم المعنوي ، وهما يشكلان حافزين مهمين في تشجيع العامة على العلم والتعليم.

وضمن إطار تقديم الخدمات في الجانب العلمي أعتنى خلفاء الموحدين بعَقْد المجالس العلمية التي كانت تضم نخب من العلماء في صنوف المعرفة شتى ، فكان هناك مجلس للفلسفة، ومجلس للفقه، ومجلس للأدب (٦٧) ، ويأتي عقد هذه المجالس لينسجم مع ثورة آبن تومرت الثقافية في المغرب التي كانت قائمة على التحرر العقلي والمنهج النقدي الهادفة إلى بناء عقلية جديدة تقوم على الاعتقاد الصحيح والفهم السديد لأحكام الشرع(٦٨) ، وكانت تلك المجالس منظمة تنظيماً دقيقاً بداءً من الجلوس وانتهاءً إلى ما يطرح فيها من آراء وأفكار، وإنَّ النتائج المستخلصة منها تنقل إلى الطلبة والمتعلمين من أبناء المجتمع لتعم الفائدة في أرجاء الدولة الموحدية كافة(٦٩).

وأظهر خلفاء الدولة الموحدية اعتناءً بالمراكز الفكرية في المناطق التابعة لهم ، فأخذت المكتبات حيزاً من عنايتهم لأهميتها في تطور الحياة الفكرية بوصفها مركزاً هاماً من مراكز العلم والتعلم ، فواحدة من المناقب التي عدت للخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن أنَّه جمع كتباً كثيرة من مختلف الأماكن في المغرب والأندلس(٧٠) ، وقد كانت من الكثرة أنْ خصص لها أحد القصور التي بناها في مُرَّاكِش(٧١) ، ويرى المستشرق الإسباني (أنخل جنثالث بالنثيا) أنَّها أصبحت تُضاهي المكتبة التي أنشأها الحكم المستنصر بالله(٣٥٠-٣٦٦هـ/٩٦١-٩٧٦م) الخليفة الأموي في الأندلس(٧٢) ، ونظراً لأهميتها يختارون للإشراف عليها من أكابر العلماء وعِليتهم إذ كانت من الخطط الجليلة عندهم(٧٣) ، ومِمَّا لا غرو فيه أنَّ هذا العدد الضخم من الكتب يشير إلى العناية الكبيرة من خلفاء الموحدين بالحصول على الكتب ، ومن الطبيعي أنْ يكون له أثر محمود في النهوض العلمي في عصر يعتمد فيه التأليف على الكتب الخطية .

ولَمَّا كانت –وما زالت–المكتبة تشكل جزءاً رئيساً في بناء المسجد، فإنَّ كثرة المساجد المنتشرة في المغرب والأندلس في عهد الموحدين، ومنها على سبيل المثال لا الحصر جامع القرويين وجامع المنصور مُرَّاكِش وجامع قُرْطُبة(٧٤)، وحوت تلك المساجد مكتبات عامرة بالكتب أغنت الحركة الثقافية؛ لأنَّها كانت متاحة أمام المُصَلِّين الذين يرتادون هذه المساجد.

وأخذ إنشاء المدارس حيزاً من رعاية خلفاء الدولة الموحدية واهتمامهم بوصفها مركزاً مُهمّاً في بث فكرهم ، وتحقيق خطتهم التربوية الرامية إلى التغيير الشامل انطلاقاً من قول مؤسس دولتهم آبن تومرت ((**إذا لم يتغير ما بالذهن لا يتغير ما بالسلوك**)) (٧٥) ، ولتحقيق ذلك أتخذ من داره في مدينة أجلي(٧٦) مكاناً يدرس فيه ، والتي يمكن عدها بأنَّها أول مدرسة في الدولة الموحدية ، وفي هذا الشأن ذكر آبن خلدون ما

نصه : ((فنزل (أي المهدي) على قومه وذلك سنة خمس عشرة وخمسمائة وبنى رابطة للعبادة ، اجتمعت إليه الطلبة والقبائل ، يعلمهم المرشدة في التوحيد باللسان البربري...))[77] .

وعلى هدي المؤسس سار الخليفة المنصور في إنشاء المدارس، والمساجد، وذكر آبن أبي زرع نصاً يؤكد ذلك بقوله: ((... وحصّن البلاد وضبطَ الثغور، وبنى المساجد والمدارس في بلاد المغرب وإفريقية والأندلس...)) [78].

ونتيجة للانفتاح العلمي والفكري الذي شهدته المغرب والأندلس في العهد الموحدي بلغت العلوم الطبية درجة عالية من الرقي والتطور بفضل ما قدمه خلفاؤهم في هذا المجال من خدمات من قبيل تقريب الأطباء والإنفاق عليهم، وتنظيمهم على درجات، وتنصيب رئيساً عليهم[79]، وأنعكس ذلك إيجاباً على الخدمات التي قدمها هؤلاء الأطباء لأفراد المجتمع الموحدي.

محاربة الظواهر الاجتماعية السلبية

قصدت الدولة الموحدية في اصلاحها السياسي بلورة ونشر ثقافة جديدة في المجتمع المغربي تؤسس لوعي مجتمعي جديد من خلال تطبيق مبادئ الإسلام على مستوى التجسيد العملي بعيداً عن الشعارات والخطابات النظرية ، ويعد ذلك من أهم مكونات الإصلاح ، ومن الشروط الضرورية لنجاح التغيير الشامل، لذلك كان مؤسسها محمد بن تومرت يمارس دور المصلح ويقدم خدماته من أجل إصلاح المجتمع المغربي وذكر أحد المؤرخين بهذا الشأن ما نصه: (... ويمشي في الأسواق ويأمر بالمعروف وينهي عن المنكر ، ويكسر المزامير وآلة اللهو، ويريق الخمر حيثما وجده ، يفعل ذلك في أي بلد حل به وأي موضع نزل به ...)[80] ، وهناك العديد من الأمثلة التي تؤيد صحة هذا الكلام ومنها أنَّه قام عند دخوله لمدينة ملالة[81] بإراقة الخمر وقال:((المؤمن تمار والكافر خمار... وقالوا له من امرك بالحسبة ؟ فقال: الله ورسوله))[82] ، وفي مدينة تلمسان وجد بها عروساً تُزفُّ لبعلها وهي راكبة على سرج ، واللهو والمنكر أمامها، فكسر الدفوف واللهو وغير المنكر، وأنزلها عن السرج[83] ، وعمل على تفريق النساء ، والرجال حينما كانوا على ساقية واحدة ، النساء يستقين ،والرجال يتوضؤون، ومنع النساء من التزين والبيع في السوق[84].

وكان آبن تومرت يوجه أصحابه لممارسة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ففي أحد المواضع خارج تلمسان وجَّه أصحابه ومعهم عبد المؤمن لمنع لهو النساء والرجال معاً[85] ، وذكر البيذق أنَّهم عندما كانوا في مدينة فاس دخل عليهم آبن تومرت وأمرهم بما نصه ((... فقال(أي آبن تومرت) آخرجوا وآقطعوا مقارع من شجر التين الذي أسفل الوادي الذي لا ينتفع به وأقبلوا بسرعة ، وكنا في سبع نفر... فخرجنا السبعة واقبلنا بسبعة مقارع من ذكار التين ، فقال: لنا خفوا مقارعكم وسرنا معه وما علمنا أين يتوجّه حتى وصلنا زقاق بزقالة[86]، قال: لنا تفرقوا على الحوانيت ، وكانت الحوانيت مملوءة دفوفاً ، وقراقر ، ومزامير، وعيداناً ، وروطاً ، وأربة ، وكيتارات ، وجميع اللهو ، فقال لنا... اكسروا ما وجدتم من

اللهو...)) (٨٧) ، نلحظ في النصوص السابقة أنَّ عبد المؤمن كان أحد الأفراد الذين مارسوا اعمال المحتسب ، وهذا يجعلنا نقول : انَّه أولى الحسبة أهمية بالغة.

وعلى سيرته خطى الخليفة الموحدي المنصور إذ تحدث آبن عذاري عن ذلك بقوله: ((**لما رأى التساوي في الانهماك واغترار، وسمع المجاهرة بالاستهتار، والتنافس في الشهوات ونفاق سوق الغانيات الملهيات، تنكّر، وغضب في الله لذلك المنكر، وأضرب عن القال والقيل، وجعل الإنذار والأعذار مكان السيف الصقيل ، فأمر بإراقة المسكرات وقطعها، والتحذير بعقاب الموت على استعمالها، وأنفذ المخاطبات بذلك إلى كافة ولاته بالأمصار، فأريق منها في البلاد ما يساوي أموالاً جمة ...**) (٨٨)، وذكر في موضع آخر أنَّه أصدر أوامره إلى صاحب الشَّرَطَة ((**بقطع الملهين والقبض على من اشتهر من المغنين فثقف من وجد منهم بكل مكان – فغيروا هيئاتهم وتفرقوا على الأوطان – وبارت سوق القيان – وزهد كل الزهد في هذا الشأن**)) (٨٩) وقد دفع هذا الفعل الاجتماعي بعض شعراء الموحدين إلى تمجيده بقصائدهم ، فقال أحدهم:

أقـــام حـــدودَ اللهِ فـــي كُـــل ... واعمـــــل في رعيـــه واهتبــــاله

وبـــدَّد منـــه كـــل مـــا فيـــه شُـــبهَةٍ ... ولم يبـــقِ الا حلـــوه واحتلالـــه

إمـــام جميـــع الخـــير بعـــض صـــفاته ... فـــلا خـــير الا وهـــو ممَّـــا أنالـــه(٩٠)

وحارب الخليفة المنصور شرب الخمر ومنع دخوله إلى مراكش وحتى يتيقن من تنفيذ أوامره وتطبيقها طلب من أبي جعفر بن الغزال الذي كان خبيراً بتركيب الأدوية ويعتمد عليه المنصور فيها أن يعمل له ترياق فجمع كل مواده ولكنه أحتاج إلى الخمر الذي يعجن به أدوية الترياق، ولما علم المنصور بذلك قال له:((**تطلبه من كل ناحية وأنظر لعل يكون عند أحد منه ولو شيء يسير لنكمل الترياق. فتطلبه أبو جعفر من كل أحد، ولم يجد شيئاً منه. فقال المنصور: والله ما كان قصدي بتركيب الترياق في هذا الوقت إلا لأعتبر هل بقي من الخمر شيء عند أحد أم لا**)) (٩١).

خدماتهم في الجانب الاقتصادي

حظي الجانب الاقتصادي بعناية الخلفاء الموحدين بشكل كبير، لتعلقه بمعيشة الناس وأساس استقرار البلاد، فكان لهم دور في بناء الأسواق ورعايتها، وصل على حد بناء الحوانيت والدكاكين وكرائها للتجَّار، وكان عُمَّالها يقومون بالإشراف على الكراء ويثبتون المبالغ في عقود خاصة يحتفظون بنسخ منها(٩٢)، وعمل الدولة هذا كان له أثر إيجابي على أسعار السلع التي تُباع في الأسواق حيث لا يعمد التجار إلى رفعها، بغية تحصيل أموال الإيجار.

ولما كان الدين الإسلامي يوجب على الحاكم أنْ يولي الفقراء من رعيته عناية كبيرة بهدف تحقيق العدالة الاجتماعية في مجالها الاقتصادي، وإيجاد السبل التي تضمن رفع حالة الفقر عنهم، أولت الدولة

الموحدية عناية خاصة بشرائح المجتمع التي تعاني من العوز والفقر، فذُكِر أن الخليفة المنصور أصدر أمراً بتسجيل أسماء المساكين من الضعفاء والوافدين من الغرباء من المحتاجين لكي تخرج لهم الصدقة والبالغة ثلاثين دينار لكل فرد(٩٣).

ومن الأمور التي اعتاد خلفاء الموحدين القيام بها لمساعدة الفقراء هو التصدّق بالأموال بعد البيعة لهم بالخلافة ، وقبل الخروج بغزواتهم ، ومن الأمثلة على ذلك ما قام به الخليفة يعقوب المنصور بعد أنْ تمَّت له البيعة أخرج مئة ألف دينار ذهباً من بيت المال فرَّقها على فقراء المغرب ، وكتب إلى عمّاله يأمرهم بإطلاق سراح المساجين ، ورد المظالم التي ظلمها العمال أيام أبيه(٩٤) ، كما قام هذا الخليفة وحسب ما ذكر عبد الواحد المراكشي الذي كان شاهد عيان على ذلك أنه قام بتقسيم مراكش أرباعاً في كل ربع أُمناءَ معهم أموال يتحرون عن الأشخاص والأسر الفقيرة في المدينة خاصة وأنه كان كثير التصدق بالأموال فقد تصدق بمبلغ أربعين ألف دينار قبل خروجه لغزوة الأرك(٩٥) سنة ٥٩١هـ/١١٩٤م وزع قسم منها على قرابته، والقسم الآخر وضع بأيدي الأمناء من أجل توزيعه على العوائل المتعففة في المدينة(٩٦) ، وذكر آبن عذاري أنَّ الدولة الموحدية في عهد هذا الخليفة المنصور كثيراً ما كانت تقوم ببيع الملابس على الفقراء بالأقساط ، وفي أحيان أخرى تعطى لهم مجاناً(٩٧) ، وقام الخليفة المنصور في سنة ٥٩٥هـ/١١٩٩م بختان الاطفال في مدينة مُراكِش وأمر أنْ يُعْطَى كل طفل دينار من الذهب ، ودرهم من الفضة ، وفاكهة ، لينشغل بها وللتخفيف من الألم أثناء إجراء عملية الختان وبعدها ، فضلاً عن ذلك أمر بأنْ يصرف لهم دينار لغرض المداواة ، فكان يصرف في هذا العمل مبلغ كبير جداً ، قيل : إنَّه فاق الألف ألف من الذهب والفضة ، وقد عد عمله هذا من المكارم التي لم يسبقه إليها أحد من الحكام(٩٨) .

وشملت الدولة الموحدية الأيتام بجانب كبير من رعايتها، وذُكِر في هذا الشأن أنَّ الخليفة عبد المؤمن وعند خروجه إلى غزوة بجاية سنة ٥٤٧هـ/ ووصوله إلى مدينة تلمسان وقف أمام أحد الدور وسأل عن أبيهم فأخبروه بأنَّه متوفى وترك أربعة أبناء، فما كان من الخليفة ألا أنْ أسهمهم أرضاً واسعة وأعطى كل واحد منهم ألف رأس من الغنم ومثلها من البقر، وأربعة آلاف دينار ، وأضاف على ذلك بأنْ كتب لهم ظهيراً بالعز والأمان(٩٩)، وأن كنا نرى هناك مبالغة في إعطاء عبد المؤمن هذا العدد الكبير من الأغنام والابقار لكل يتيم من هذه العائلة فضلاً عن الأراضي الواسعة ، ولكنه مع ذلك يشير إلى اهتمامه الكبير بهذه الشريحة من رعاياه.

وكذلك حظي الأيتام باهتمام الخليفة المنصور ورعايته إذ كان يأمر في كل سنة بكتابة أسماؤهم ليجمعوا في مكان قريب من قصره ليختتنوا، ثم يأمر بأنْ يعطى كل صبي مثقال، وثوب، ورغيف، ورمانة، وربما زاد على المثقال بدرهمين(١٠٠).

وفي أوقات الأزمات التي حدثت بسبب الكوارث البشرية أو الطبيعية تظهر الحاجة إلى الدولة بتقديم خدماتها لمساعدة المتضررين ، وهذا ما كانت تقوم به الدولة الموحدية ، حينما تسعى بكل إمكانياتها المادية

والبشرية لتقديم الإعانة وتعويض المتضررين ، ومما يذكر في هذا الشأن أنَّ أهل مدينة زويلة[١٠١] التي سيطر عليها الافرنج سنة ٥٥١ه/١١٥٦م استجاروا بالخليفة عبد المؤمن بن علي الذي عوضهم بمبلغ ألفي دينار لما أصابهم من خسائر[١٠٢] ، وعلى المنوال نفسه قام ولده أبو يعقوب يوسُف بتعويض أهل مدينة قونكه[١٠٣] الأندلسية عن الأضرار التي لحقت بهم نتيجة محاصرة الافرنجة لمدينتهم مدة خمسة أشهر، إذ أوعز بتسجيل أسماء مَن كان في المدينة من الرجال ، والنساء ، والصبيان ، والأطفال ، الذين بلغ عددهم سبعمائة نسمة بين رجل مقاتل وامرأة وصبي وطفل ، ثم أصدر أمراً بأن يكون للفارس منهم اثنا عشر مثقال ، وللراجل ثمانية مثاقيل ، وللمرأة والطفل أربعة مثاقيل ، وأعطاهم سبعين بقرة [١٠٤] ، وبما أن الخليفة يمثل قدوة حسنة لرعيته فقد شكل عمله هذا حافزاً لرجالات الدولة والميسورين منهم للقيام بمثله ، فقام الوزير إدريس بن أبي إسحق[١٠٥] بشراء زرع لهم بمائة دينار وكذلك فعل ولده ، فيما قام مجموعة من أشياخ الموحدين والميسورين منهم بشراء وقر حمل من القمح ، وذكر آبن صاحب الصلاة أنَّ الصدقات ، والعطيَّات ، والهِبَات ، تتابعت عليهم من اعيان الناس[١٠٦].

وحظي المتضررون من الكوارث الطبيعية باهتمام خلفاء الدولة الموحدية ، خاصة إذا تسببت هذه الكوارث بخسائر بشرية ومادية كبيرة ، ففي سنة ٥٦٧ه/١١٧٢م أصاب الناس في قنطرة أغربالة[١٠٧] قحط شديد أودى بحياة كثير من الناس والحيوانات ، دفعت بالخليفة أبي يعقوب يوسُف إلى إخراج البركة لأهل المدينة للتخفيف عنهم التي بلغت خمسة مثاقيل للفارس الكامل ، ومثقالين للراجل الكامل[١٠٨] ، وفي عهد الخليفة محمد الناصر شَبَّ حريق كبير في سوق مُرّاكِش سنة ٦٠٧هـ/١٢١٠م أدى إلى دمار السوق بأكمله ، ومن أجل التخفيف من تلك الكارثة الاقتصادية أمر الخليفة بإعادة بناء السوق بأفضل عما كان عليه قبل الحريق ، وخصص لهذا الغرض أموالاً كثيرة من بيت المال ، وفي الوقت نفسه أصدر أمراً بتعويض التجَّار أموالهم التي فقدوها[١٠٩] ، إنَّ ذلك يعطي دلالة واضحة عن مدى الاهتمام الكبير الذي كان يوليه الخليفة محمد الناصر للنشاط الاقتصادي المتمثل بالأسواق والمسؤولين عليها بغية تنشيط الحركة التجارية وإنعاش اقتصاد الدولة حتى يستطيع مواكبة الازدهار الكبير الذي شهدته مجالات الحياة المختلفة في عهده ويكون الممول الرئيس لها.

ونتيجة للقحط الشديد الذي أصيبت به الدولة الموحدية في سنة ٦١٦ه/١٢١٩م عانى الناس من جوع شديد نتيجة غلاء الأسعار، ولأجل التخفيف من شدة الأزمة قام الخليفة المستنصر بالله بفتح مخازن الغذاء أمام العامة وتوزيع ما موجود فيها على الرعية، فضلاً عن ذلك منحهم الأموال كصدقة، فتحسنت أحوالهم[١١٠].

ولكثرة الحروب التي خاضتها الدولة الموحدية في المغرب أو الأندلس ووقوع جندها والتابعين لها أسرى في أيدي العدو فإنَّ خلفاء الدولة الموحدية لم ينسوا أنْ يقدموا خدماتهم لهذه الشريحة، سواء بخلاصهم من الأسر، أو بعد عودتهم لممارسة حياتهم الطبيعية، فيفهم من رواية آبن عذاري أنَّهم كانوا

يرصدون أموالاً كثيرة لتخليص جنودها من الأسر، وأعلى قيمة دفعت لافتكاك الأسير بلغت أربعة آلاف دينار(١١١)، بل لم يكتفوا بتحريرهم من الأسر فقط ، وإنَّما عمدوا إلى تأمين احتياجاتهم ورفع مستواهم المعاشي بخاصة من كانت حالته الاقتصادية ضعيفة وغير قادر على توفير احتياجات عائلته ، وهناك دليل آخر أشار إليه آبن صاحب الصلاة (كان حياً سنة ٥٩٤هـ/١١٩٨م) أن رجلاً كبير السن من أهل بَطليوس(١١٢) قد وقع في الأسر وفد على الخليفة يوسُف بن عبد المؤمن لطلب المساعدة ، وشرح حاله للخليفة قائلاً :((**إنَّه أسر يوم دخول النصارى مدينة بطليوس ، وأنَّ له ثلاث بنات ليس لهن حيلة بما يسترهن ، فأمر له بمائتي دينار في فديته وبثلاث (وبثلاثة) مائة مثقال عن جهاز لبناته**)) (١١٣) .

ومن الخدمات الجليلة التي قدمها خلفاء الدولة الموحدية هو إلغاؤهم الضرائب غير الشرعية التي كانت مفروضة في عهد المرابطين ، التي عدّها مؤسس دولة الموحدين المهدي بن تومرت واحدة من المثالب التي انتقد من خلالها المرابطين ، بقوله: ((**إنَّهم أحدثوا المغارم ، وفرضوا المكوس، وأكلوا الحرام، وفرضوا على الناس ما لم يوجبه الشرع**))(١١٤) ، وتنفيذاً لمنهج المؤسس أسقط خليفته عبد المؤمن آبن علي الضرائب كافة ، والمكوس غير الشرعية ، وعدَّ أخذها بغير حق شرعي من الكبائر كما جاء بوصيته إلى طلبة الموحدين في الأندلس قائلاً:((**ولقد ذكر لنا في أمر المغارم ، والمكوس ، والقبالات ، وتحجير مراسي وغيرها ما رأينا أنَّه أعظم الكبائر جرما وإفكاً، وأدناها الى مَنْ تولّاها دماراً وهلكاً. واكثرها في نفس الديانة عبثاً وفتكا، فإنَّا لله وإنَّا اليه راجعون! هل قام هذا الامر العالي الا لقطع أسباب الظلم وعلقه؟ وتمهيد سبيل الحق وطرقه؟ وإجراء العدل الى غاية شأوه وطلقه؟ اللهم إنَّا نُشْهِدُك أنَّ سبيلنا سبيلك، وإنَّا نستعيذك ممَّا استعاذك منه محمد رسولك. روى عنه ﷺ أنَّه قال: ((أعوذ بالله من المغرم والمأثم))، تنبيهاً على ما في إغرام الناس من الظلم المظلم. ولئن نقل إلينا ــ والله الشاهد ــ أنَّ نوعاً من هذه الأنواع المحرمة، او صنفاً من تلك الأصناف المظلمة، يتولاها أحد هنالك من البشر، أو يأمر بشيء من ذلك الفعل المستنكر. لنعاقبنه بمحو أثره، عقاباً يبقى لمن اتّعظ. وعبرة لمن تنبّه لزاجر الحق واستيقظ.**)) (١١٥)، ويبدو أنَّ عمله هذا قد أدى إلى عدم وجود ذكر للقبالة في بلاد الموحدين كما أكد ذلك الإدريسي(٥٦٠هـ/١١٦٥م) بقوله: ((... **وصار الأمر إليهم فقطعوا القبالات بكل وجه، واستعملوا قتل المتقبلين بها، ولا تذكر الآن قبالة ذكراً في شيء من بلاد المصامدة**) (١١٦).

وسار الخليفة يوسف بن عبد المؤمن على سياسة والده بإلغاء الضرائب حين خفَّض الضرائب، وأسقط بعضها، وكان عُمَّاله يجبونها بحسب بعض المؤرخين " **دون مكس والأجور**" (١١٧)، وقيل: أيضاً إنَّه حين بنى قنطرة إشبيلية أمر((**بتسبيل المرور عليها للسابلة دون قبالة تؤخذ منهم فيها أو جعل يستوفيها**)) (١١٨)، واعتمادا على ما ذكره ابن القاضي المكناسي(ت١٠٢٥هـ/١٦١٥م) نجد أن الخليفة المنصور لم يأخذ المكوس من التجار إلا مبالغ زهيدة جداً(١١٩)، وكذلك اهتم هذا الخليفة بالأسواق والمشرفين عليها حيث كان يستقبلهم ويسألهم عن الأحوال الاقتصادية والأسعار في مناطقهم، ويؤكد على المحتسب أنْ يمارس

دوره كاملاً داخل السوق وذكر المُرّاكشي ما يؤيد ذلك بقوله: ((وكان قد أمر أنْ يدخل عليه أمناء الأسواق وأشياخ الحضر في كل شهر مرتين؛ يسألهم عن أسواقهم، وأسعارهم، وحكمهم)) (١٢٠).

وامتدت عناية الخلفاء الموحدين إلى أسواق الرقيق ، إذ ارسل الخليفة عبد المؤمن بن علي رسالة سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م إلى ولاته ، وعُمّاله تتضمن أنَّ هناك فواحش ترتكب ببيع النساء في أسواق الرقيق في المغرب والأندلس ، واضعاً الحلول لمعالجة هذه التجاوزات وجاء في تلك الرسالة أنَّ الرجل ((... يبتاع المرأة ويبيعها دون استبراء ، ويعبث في ذلك بكل إقدام على الله تعالى واجتراء ، ولا يتحفظ من مواقعة الزنى المحضن، وخالفة الواجب مع الفرض ، ....فلا سبيل لأحد ممن هنالك أن يبتاع شيئاً منهن أو يبيع حتى يستأذن الحاكم لأمره والشيوخ لئلا يذهب الحق في ذلك ويضيع ، ولتقدموا في أسواقهن من ترضون دينه وأمانته ، وتتحققون ثقته وصيانته ... وكذلك فليتوقفوا عن بيع النساء في جميع من تغنمونه منهن في تلك الارجاء ، حتى تخاطبونا بأصل أمرهن وكيفيته ، ...وتعلمونا من ذلك بجليته ، لنرسم لكم فيه ما يكون عليه اعتمادكم ، ويجري إليه اقتصادكم))(١٢١) .

خدماتهم في الجانب العمراني

شهدت منطقة المغرب الأقصى والأندلس في ظل الدولة الموحدية حركة واسعة في ميدان البناء بمجال المنشآت العامة كالمساجد ، والمدارس ، والمستشفيات ، والحمامات ، والفنادق ، والقناطر، فقد عنوا بشكل كبير بعمارة المساجد عملاً بقوله تعالى: (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ)(١٢٢) ، والدافع على ذلك الحصولُ على الثواب العظيم الذي أكدته السنة النبوية المطهرة بقوله :(من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله ، بنى الله له مثله في الجنة)(١٢٣) .

أخذ المسجد حيزاً واسعاً في حياة المسلمين ، فهو لم يكن مكاناً للتعبد فحسب بل كان مركزاً مهماً تدار فيه حياتهم السياسية ، والاجتماعية ، والفكرية، ولما كان بناء وإصلاح المساجد ينسجم مع السياسة الدينية لخلفاء الموحدين، فقد أهتموا بأنشائها ، وعمارتها ، وتوسيعها، بدءً من مؤسسها آبن تومرت الذي بنى ورمَّم المساجد لتكون مقراً لنشر دعوته وأفكاره في مناطق عدة من المغرب(١٢٤) ، وعلى هدي المؤسس سار خليفته عبد المؤمن بن علي الذي بنى مساجد عدة في المغرب بدأها بمسجد مدينة تازة(١٢٥) في سنة٥٢٩/ ١١٣٥م(١٢٦)، وذكر عبد الله علي علام أنَّ مساحة هذا المسجد اشتملت على تسع بلاطات متساوية ماعدا الوسطى التي كانت أكثر اتساعا بُني عليها ثلاث قباب الأولى أمام المحراب والثانية والثالثة في الخلف ، وجعل له مئذنة في الركن الشمالي الشرقي(١٢٧) ، وفي سنة٥٤٠ هـ/١١٤٥م بني جامع مدينة تاجرة القريبة من تلمسان(١٢٨) .

وغدت مدينة مُرّاكش في عهد الموحدين من أعظم المدن آنذاك جمالاً وبهجة على حد قول صاحب كتاب الاستبصار الذي أضاف أيضاً إلى أنَّ عبد المؤمن بن علي بنى فيها جامعاً كبيراً بقوله:((فإنَّ الخليفة

الإمام بنى فيها جامعاً عظيماً ثم زاد فيه مثله أو أكثر في قبلته؛ كان قصراً، ورفع بينهما المنار العظيم الذي لم يشيد في الإسلام مثله، وأكمله أبنه وخليفته أبو يعقوب...))[١٢٩] ، وكان ذلك في سنة ٥٤١ هـ /١١٤٦م وهي السنة التي سيطر فيها الموحدون عليها وبقوا خارج اسوارها لثلاثة ايام لا يدخلون اليها ويمنعون الداخلين من الخروج عملا بوصية آبن تومرت إذا قال لهم ((**لا تدخلوها حتى تطهروها))** [١٣٠]، فاستشاروا الفقهاء عن كيفية تطهيرها ، فأشاروا عليهم بهدم جوامعها ، وبناء مسجد جديد[١٣١] ، وبنى مسجداً آخر في تينمل[١٣٢] سنة ٥٤٣/١١٤٨م تخليداً لذكرى مؤسس دولة الموحدين [١٣٣] .

وجَّه عبد المؤمن أوامره في سنة ٥٥٠ هـ /١١٥٥م ((**بإصلاح المساجد وبنائها في جميع بلاده...**))[١٣٤] ، يظهر من النص أعلاه الاهتمام الواسع لعبد المؤمن بإعمار المساجد ونشرها في دولته ، ويرافق هذا الإعمار اللمحات الفنية المتطورة بما يتناسب والمكانة التي وصلت اليها الدولة في عهده.

وعمل الخليفة يوسُف بن عبد المؤمن على بناء جامع إشبيلية سنة٥٦٧هـ/١١٧١م[١٣٥] ، على مساحة واسعة حيث تساوى في مساحته وسعته مع جامع قرطبة ، واستمر فيه حتى سنة ٥٧١هـ/١١٧٥م ((**فكانت المدة في بنائه ثلاثة أعوام واحدى عشر شهراً**))[١٣٦] كما ذكر ذلك آبن صاحب الصلاة الذي أضاف إلى أنَّه قد بذلت جهود كبيرة من أجل إنجازه ، شارك فيها عدد كبير من العمال ، فقد جند للعمل به جميع ((**العرفاء البناؤون من اهل اشبيلية ،وجميع عرفاء اهل الاندلس ومعهم عرفاء البنائين من أهل مُرّاكِش ومدينة فاس وأهل العدوة فاجتمع ... منهم ومن اصناف النّجارين ، والنشارين ، والفعلة لأصناف البناء أعدادا ، من كل صنف صنَّاع مهرة في كل فن من الأعمال))** [١٣٧] الى جانب عدد من المشرفين الفنيين والإداريين على العمل ، وهدم لأجل اقامة المسجد الديار داخل القصبة ، وكان السبب وراء بناء جامع بهذا الحجم الكبير هو زيادة عدد الموحدين الوافدين الى إشبيلية فضلاً عن أنَّ الجامع القديم قد ضاق بالمصلين[١٣٨] ، مما لا شك فيه ان هذا العمل الكبير ما كان لينجز بهذه السرعة لولا وجود إشراف ومتابعة من قبل الخليفة بنفسه على البناء في أكثر الأيام ومعه أُخوته، والقادة، والوزير، وعدد من الفقهاء، والأعيان، وكان يعمل على رفع الروح المعنوية للعاملين، ومفاجأتهم بالبركات، واعداً إيَّاهم بالمزيد من العطايا، حتى اكتمل البناء [١٣٩].

ومن الاعمال العمرانية الأخرى التي قام بها الخليفة يوسُف بن عبد المؤمن أكمال الصومعة العظيمة التي ابتناها والده في جامع مُرَّاكِش [١٤٠]، وأصدر أوامره ببناء صومعة لجامع اشبيلية سنة ٥٨٠هـ/١١٨٤م قال عنها آبن صاحب الصلاة ما نصه: ((**لا صومعة تعدلها في جميع مساجد الأندلس ... قد ارتفعت في الجو، وعلت في السماء، تظهر للعين على مرحلة من اشبيلية مع كواكب الجوزاء)**) [١٤١].

أن عناية الخلفاء الموحدين بالأعمال العمرانية لم تقتصر على بناء المساجد وتعميرها، بل عنوا أيضاً بأعمار الأسوار وبخاصة اسوار المدن الأندلسية بوصفها دائمة التعرُّض لهجمات النصارى، ولذلك أطلق

الخليفة يوسُف بن عبد المؤمن حملة واسعة في الاندلس لبناء ((**جميع أسوارها وأعادها للإسلام بالعمارة بعد اقفارها**)) (١٤٢)، كذلك قام في سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م ببناء سور باب جهوره في اشبيلية (١٤٣)، ولابد أن يكون لهذا العمل صداه في تدعيم قوة تلك المدن وتمكنها من الصمود في حال تعرضها للهجمات من خلال تقوية مواضع دفاعها.

لم تتحدد عناية الموحدون بنشاطهم العمراني على مدينتي مراكش وأشبيلية فقط ، بوصف الأولى قاعدة حكمهم في المغرب ، والثانية في الأندلس وانما امتد اهتمامهم ليشمل مدن أخرى فقد شهدت سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م حملة اعمار سور مدينة باجة(١٤٤) بناء على طلب الأهالي هناك، إذ ارسل الخليفة يوسف بن عبد المؤمن اليهم أحد قادته ومعه الجند والبنائين وما يحتاجون اليه من آلات البناء، وبعد استكمال بناءه تم اطلاع الخليفة بذلك، فنال رضاه(١٤٥) ، وبذلك تتضح سياسة الخليفة وحرصه على رعاية الأهالي ومناطق سكناهم من أجل مواجهة الأخطار ، فهو لم يكتف بإعمار وبناء السور وإنَّما حرص على أنْ يسمع من المكلف بالبناء أنَّه انجز عمله على أفضل صورة .

وقد أبدى الخلفاء الموحدون حرصاً كبيراً على إعادة واعمار المدن التي تتعرض للتخريب من قَبِل بعض الحركات المتمردة على السلطة، أو نتيجة حدوث الكوارث الطبيعية ومن قبيل ذلك ما حدث لمدينة قرطبة من تخريب على أثْرِ فتنة آبن همشك(١٤٦) إذ شُرِّد سكانها، وهُدِّمت منازلهم ويشير آبن صاحب الصلاة إلى ذلك بقوله: ((**وجلبوا البنائين والعرفاء والفعلة لبنيان القصور والدور من خرابها وإعادتها على ترفيع قبابها**)) (١٤٧).

وفيما يتعلق بالكوارث الطبيعية، فكثيراً ما كانت الأندلس تتعرض لها وتحدث أضراراً بها لذلك لم يغب عن الخلفاء الموحدين تقديم خدماتهم في هذا الجانب، فعلى سبيل المثال لا الحصر قام الخليفة يوسُف بن عبد المؤمن بإعمار سور مدينة إشبيلية، فذكر بعض المؤرخين ما نصه في هذا الشأن ((**...ابتنى الزلالق لأبواب إشبيلية من جهة الوادي احتياطا من السيل الخارج عليها، وابتنى قصبتها البرانية والداخلية، وأسكن الثغور القفرة....**)) (١٤٨).

كان للنشاط العمراني نصيب في تفكير الخليفة يوسُف بن عبد المؤمن وتطلعه لبناء دولة تتمتع بمدنية راقية، ويعود تاريخ أول عمل عمراني خدمي قام به إلى سنة ٥٦٦هـ/١١٧٠م، إذ أمر بإعمار وصيانة الساقية التي أسَّسها والده سنة ٥٤٥هـ/١١٥٠م في مدينة المهدية لتعرضها للخراب بسبب انعدام جريان المياه فيها فعمل على اعادته، ولم يكتف بذلك فقط بل عمل على بناء صهريج كبير جعله لتجميع وتوجيه المياه الى الساقية لتعم الفائدة أكثر للناس (١٤٩).

وفي سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م انشأ قنطرة على الوادي الكبير في مدينة إشبيلية (١٥٠)، عمل على إنجازها بسرعة كبيرة، ليجعل منها خدمة عامة للناس، وهذا العمل قد أفرح الأهالي للفائدة التي تقدمها لهم، ويبدو أن

هذا الأمر جعل الخليفة سعيداً بدليل أقامة احتفال كبير بيوم إنجازها كما يصف ذلك آبن صاحب الصلاة بقوله:"**كان يوماً حفيلاً من قرع الطبول ومن حضور الكتائب والجنود وعقد الألوية والبنود**" (١٥١)، ومن الخدمات التي عمل الخليفة يوسُف بن عبد المؤمن على تقديمها للناس هي توفير المياه لأهل مدينة إشبيلية وأصدر أوامره ببناء محبس لجمع الماء في داخل المدينة، وقد عمل الأمير على اقامة احتفال بوصول الماء الى المحبس "**وحضر ... في عسكر من كبار الموحدين والفقهاء والطلبة وضربت الطبول على اجرائه**" (١٥٢) ، وفي الشأن ذاته عمل الخليفة الموحدي الناصر على جلب الماء إلى عدوة الأندلس في مدينة فاس من عين بخارج باب الحديد(١٥٣).

وكجزء من مهام الدولة في تقديم الخدمات العامة لرعاياها، فقد اعتنت الدولة الموحدية بالأماكن الترفيهية، وأنشئت مدينة رباط الفتح على شاطئ البحر، لتكون متنزهاً على غرار مدينة الإسكندرية في مصر(١٥٤)، لما لها من أهمية كبيرة في الترويح عن الناس وقضاء أوقات ممتعة.

وللتدليل على المظاهر العمرانية التي قدمها الخلفاء الموحدون ننقل ما ذكره الجزنائي(ت ٧٥٠هـ/١٣٤٩م) من احصائية لِمَا شهدته مدينة فاس من الأعمال العمرانية إذ قال:((**وانتهت مدينة فاس في ايام المرابطين والموحدين من بعدهم من الغبطة والعمارة والرفاهية والدعة والأمن والعافية مالم تبلغه مدينة من مدن المغرب، لا سيّما في أيام المنصور وولده محمد الناصر، كانت المساجد فيها سبعمئة وخمسة وثمانين ، ودور الوضوء اثنتين وأربعين، والسقايات ثمانين، والحمامات ثلاثة وتسعين، وأرحى الماء أربعمئة واثنتين وسبعين، ودور السكنى تسعة وثمانين ألفاً ومئتين وستة وثلاثين ، والمصاري سبع عشرة ألفاً وإحدى وأربعين ، والفنادق أربعمئة وتسعة وستين ، والحوانيت تسعة آلاف ومئتين وثمانين، وقيساريتان اثنتان واحدة في كل عدوة منهما، وداران للسكة واحدة في كل عدوة منهما ،والأطرزة ثلاثة آلاف وأربعة وتسعين، ودور عمل الصابون سبعة وأربعين، ودور الدباغ ست وثمانين، ودور الصباغ مئة وست عشرة داراً ، ودور سبك الحديد والنحاس اثنتي عشرة ، ودور عمل الزجاج إحدى ، عشرة وكوش الخبز مئة وخمساً وثلاثين ، وأفران الخبز ألفاً ومائة وسبعين، وأحجار عمل الكاغد أربعمئة، كل ذلك بداخل المدينة...**)) (١٥٥) .

يظهر ما تقدم الرغبة الكبيرة التي كانت لدى الموحدين في تنفيذ مشاريع ضخمة في مجال البناء العمراني والصناعي الذي كان لابد ان ينعكس ايجاباً على حياة الناس من الناحية الاقتصادية.

خدماتهم في المجال الصحي

نال المجال الصحي عناية خلفاء الدولة الموحدية عنايتهم من خلال إنشاء البيمارستان(المستشفيات) وتوفير مستلزمات الراحة للمرضى الراقدين فيها ، وهذا ما يستدل من الوصف الذي قدمه المَرّاكشي للبيمارستان الذي أنشأه الخليفة أبو يوسُف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بقوله : " **وبني بمُرّاكش بيمارستان ما أظن أنّ في الدنيا مثله..... أمر له من الفرش النفيسة من أنواع الصوف ، والكِتّان،**

والحرير، والأديم وغيره بما يزيد على الوصف ويأتي فوق النعت وأجرى له ثلاثين ديناراً في كل يوم برسم الطعام وما ينفق عليه خاصة خارجاً عما جلب إليه من الأدوية ، وأقام فيه من الصيادلة لعمل الأشربة والأدهان ، والأكحل ، وأعد فيه للمرضى ثياب ليل ونهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء ، فإذا نقه المريض فإنْ كان فقيراً ، أمر له عند الخروج بمال يعيش به ريثما يستقل ، وإن كان غنياً ، دفع أليه ماله...." (١٥٦) .

من الواضح أنَّ شهرة هذا البيمارستان قد اقترنت بتجهيزه بما يحتاج من الأطباء والعاملين، فضلاً عن الأدوية والأثاث وغيرها من اللوازم الأخرى، ونعتقد أنَّ هذا البيمارستان استمر محتفظاً بعمارته وتجهيزاته المختلفة وجودة خدماته فيما بعد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن.

ونظراً لسعة الدولة الموحدية في المغرب والأندلس وحاجة رعاياها للكثير من الخدمات الصحية فمما لا شك فيه أنه لم يكن هذا البيمارستان الوحيد فيها وانما كان هناك العديد منها وهذا ما أكده السلاوي في روايته أنَّ الدولة الموحدية قد خصصت في بعض البيمارستانات أقساماً خاصة لمعالجة المجانين، فضلاً عن ذلك فقد أجرت لهم نفقات علاجية (١٥٧)، ويظهر أيضاً انَّ اهتمام الدولة بالمرضى المجانين كان كبيراً فكانت لهم أقسام خاصة في البيمارستانات تتوفر فيها مستلزمات علاج المرضى منهم.

ولما كان هذه البيمارستانات تحتاج إلى رفدها بالأدوية فقد عمل الخلفاء الموحدين على تقريب كل من كانت له معرفة بصناعة الادوية المفردة والمركبة ومنهم على سبيل المثال لا الحصر أبو يحيى بن قاسم الإشبيلي الذي وصف بأنه كان خبيراً بصناعة الأدوية وكثير العناية بها، وصاحب خزانة الأشربة التي كان الخليفة المنصور يأخذها منه(١٥٨) .

وقد تؤدي الظروف السياسية في بعض الأحيان إلى عدم عناية السلطة بالجانب الصحي للناس، ومما توفر لنا كمثال على ذلك ما حدث في عهد الخليفة المأمون نتيجة اجراءه الانتقامي الذي اتخذه في حق القبائل الرافضة لمبايعته إذ قتل عدد كبير من رجال تلك القبائل وعمد إلى تعليق رؤوسهم على أسوار وشرفات مراكش وصادف ذلك في وقت القيظ مما أدى إلى انتشار الروائح حتى شكا الناس منها(١٥٩)، ومما لا شك فيه أن تلك الروائح كانت تسبب ضرراً على صحة الناس.

وبعد هذه الرحلة الشيقة في تاريخ المغرب والأندلس من خلال ما قَدمه خلفاء الدولة الموحدية من خدمات إلى رعاياهم خرج البحث بمجموعة من النتائج التي يمكن تحديدها بما يأتي:

(١) تبين من خلال البحث أنَّ الدعوة الدينية التي قامت على أساسها الدولة الموحدية كان لها أثر كبير في توجيه خلفائها وإشعارهم بأهمية تقديم الخدمات العامة لرعاياهم.

(٢) ظهر من خلال البحث أنَّ تقديم الخدمات من قِبل الدولة يعتمد على شعور الحاكم بالمسؤولية أزاء رعاياه، وعلى الاستقرار السياسي، والاقتصادي الذي تتمتع به، لذلك نلحظ أنَّ تقديمها انحصر في عهد الخلفاء الأوائل لتوفر ما أشرنا له.

(٣) ظهر من البحث أنَّ الخدمات التي قدَّمها الخلفاء الموحدون كانت كبيرة في جوانب معينة كما هو الحال في الجانب الاقتصادي، والعمراني، وربُّما يفسر ذلك بشعورهم بأهمية هذين الجانبين لتعلق الأول بحياة الناس، وتعلق الثاني بتخليد ذكرهم لإبقاء أعمالهم في ذاكرة الأجيال على مر التاريخ.

(٤) وجدنا من خلال البحث أنَّ حرص الخلفاء الموحدين على تقديم الخدمات إلى رعاياهم كان يدفعهم إلى الإشراف المباشر عليها ويقومون بصرف المكافأة من أجل الإسراع بإنجازها، وكانوا يجلبون المختصين من أجل تنفيذها وإتقان العمل على أعلى المستويات.

Abstract

The Public services to the caliphs of the Almohad state in Morocco and Andalusia

This study deals with the public services provided by the caliphs of the Almohad State towards their subjects in Morocco and Andalusia in the different aspects of the life in order to achieve justice and equality on the one hand, concentrated on the scientific, health, constructional fields, and fighting against the social phenomena anomalies on the other hand. our aim of the study is to detect the extent of the performance of the Islamic political power in implementing its duties towards its subjects, in addition to this, showing the aspects of the civilization found by the Almohad State in Morocco and Andalusia. Thus, the article has concluded to the several results, one the most important results is the religious call which is based on the activity of the State in presenting the services to its subjects as long as the State had seen that works would be like the bridge which would link between it and its subjects and one of the ways that would give the strength and continuity for its power.

هوامش البحث

(١) هناك اختلاف بين المؤرخين في تحديد التاريخ الدقيق لعودته إلى المغرب. ينظر في هذا الخصوص النجار، عبد المجيد: المهدي بن تومرت، ص٨٥-١٠٤.

(٢) النجار، المرجع نفسه، ص١٠٦-١٠٧.

(٣) موسى، عز الدين عمر: الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، ص٣٦؛ وعن الحديث ينظر السجستاني، سنن أبي داود، ٣١١/٢؛ الحطاب الرعيني: مواهب الجليل، ٣٦٨/١.

(٤) النجار، المهدي بن تومرت، ص٣٦٦.

(٥) البيذق، أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، ص٤٣؛ لسان الدين آبن الخطيب، تاريخ المغرب في العصر الوسيط (القسم الثالث من كتاب أعمال الاعلام)، ص٢٧٠.

(٦) مدينة في المغرب الاقصى أسسها المرابطون على عهد يوسُف بن تاشفين سنة ٤٥٤ هـ/١٠٦٠م لتكون عاصمتهم، وهي كثيرة البساتين والاعشاب والفواكه، وأكثر أشجارها الزيتون. للتفاصيل ينظـر: الادريسي، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص ٨٤.

(٧) البيذق: أخبار المهدي، ص٦٣-٦٤.

(٨) آبن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، القسم الثالث الخاص بالموحدين، ص٣٥.

(٩) آبن عذاري: البيان المغرب قسم الموحدين، ص٥٥؛ ابن أبي زرع، الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، ص٢٥٥.

(١٠) أبن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٢٧٠.

(١١) عبد الواحد المَرَّاكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، ص ٣٣٤.

(١٢) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٣٤-٢٣٥.

(١٣) العقاب حصن اموي قديم ويسميه الاسبانlas navas de tolosa يقع بين مدينتي جيان وقلعة رباح، وقعت عنده المعركة بين النصارى والموحدين التي انتهت بهزيمتهم، وكان لها أثر كبير على قوتهم كما يظهر من أقوال المؤرخين المسلمين عنها والتي أجمعت على ذهاب قوة المسلمين في الأندلس، وأنه لم تنصر لهم راية بها بعد ذلك، وان النصارى استولوا على الكثير من المدن والمواقع. للمزيد من التفاصيل ينظر، آبن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس ،٢٠٧/١.

(١٤) موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ص٥٥-٥٧.

(١٥) آبن خلِّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ١٦/٧.

(١٦) ابن خلِّكان: وفيات الاعيان، ١٦/٧؛ آبن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٢٧٠.

(١٧) عصر المرابطين والموحدين ،٣٤٩/٢.

(١٨) آن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٣٢٥.

(١٩) مُرْسِيَة: بضم أوله وكسر السين وياء مفتوحة، مدينة بالأندلس من أعمال تُدمَير، اختطها الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن معاوية، وتقع على نهر كبير يسقي جميعها كنيل مصر، ولها جامع وأسواق، كثيرة الفواكه والأشجار، ولها ربض عامر آهل، وعليها وعلى ربضها أسوار وحظائر متقنة، ومنها إلى قرطبة عشر مراحل. ينظر: الحموي: معجم البلدان، ٨ / ٢٤٨، الحميري: الروض المعطار، ص٥٣٩.

(٢٠) أبو زيد عبد الرحمن بن موسى بن يُوجّان الهنتاني كان وزيراً في عهد أبو يوسف يعقوب، ومدة من خلافة ولده أبي عبد الله ثم عزله. ينظر، عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص٣٣٨.

(٢١) مدينة قديمة البنيان، بينها وبين قرطبة (١٦٠كم)، تشرف على نهر الوادي الكبير الذي يقع في غربها، وأصل تسميتها أشبالي أي (المدينة المنبسطة)، نزلها جند حمص عند الفتح الإسلامي لها، سقطت بيد الأسبان سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م، ينظر، البكري: جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب (المسالك والممالك) ، ص١٠٧؛ القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ٤٩٧ ؛ الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ص ٥٨-٥٩ .

(٢٢) آبن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٣٢٧.

(٢٣) المصدر نفسه، ص٣٣٠.

(٢٤) المصدر نفسه، ص٣٣٣.

(٢٥) القفيز في القيروان يساوي ٣٢ ثمنا وكل ثمن ست أمداد بمد النبي (ﷺ) ويساوي ٢٠١،٨٧٧لتر. ينظر: هنتس، فالتر: المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ص٦٨.

(٢٦) آبن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٣٣٤-٣٣٥.

(٢٧) يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد بايعه شيوخ زناته وسكان تلمسان سنة ٦٣٣هـ/١٢٣٥م فأعلن استقلال المغرب الأوسط عن الدولة الموحدية متخذاً من تلمسان عاصمة لحكمه، عرف بشجاعته وتواضعه وذكائه، حكم تلمسان مدة

ثمانية وأربعين سنة، عمل خلالها على توطيد حكمه، وقد دخل في صراع مع الحفصيين والمرينيين، توفي سنة ٦٨١ه/١٢٨٢م. للمزيد من التفاصيل ينظر، التنسي، تاريخ بني زيان، ص١١١ وما بعدها.

(٢٨) ابن خلدون، العبر، ٧/٧٩-٨٠.

(٢٩) ابن أبي زرع: الانيس المطرب، ص٣٣٥.

(٣٠) ينتسب بنو مرين الى قبيلة زناته البربرية ، وكانوا يعيشون حياة البداوة يتنقلون في المنطقة الممتدة من جنوب مدينة القيروان الى صحراء بلاد السودان ، وبعد خسارة الموحدين في معركة العقاب انتقلوا الى المغرب الأقصى بقيادة زعيمهم عبد الحق بن محيو ، ودخلوا في صراع مع الموحدين الذين كانوا يعانون من الضعف ، وتمكنوا من دخول مدينة مُرَّاكِش وبسط سيطرتهم على البلاد بقيادة يعقوب بن عبد الحق سنة ٦٦٨هـ/١٤٦١م ، الذي كان له دور كبير في مساعدة مملكة غرناطة ، وعندما ساد الانقسام أواخر عهد الدولة المرينية وسيطر الوزراء من بني وطاس أدى الى نهاية الدولة المرينية وكان آخر سلاطينهم هو عبد الحق بن أبي سعيد سنة ٨٦٩هـ / ١٤٦٤م . ينظر: آبن الأحمر، روضة النسرين في دولة بني مرين، ص٨ وما بعدها.

(٣١) الانيس المطرب، ص٣٣٧.

(٣٢) تلمسان قاعدة المغرب الاوسط واول مدينة فيه ولابد المرور فيها عند الدخول والخروج الى المغرب الاقصى، ذات آثار قديمة كثيرة الخصب والرفاه، يكثر فيها شجر الجوز ينظر: الحميري، الروض، ص ١٣٥ -١٣٦.

(٣٣) آبن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٣٣٧-٣٣٨.

(٣٤) تقع على شاطئ المحيط الأطلسي وعلى الضفة الجنوبية لنهر أبي رقراق، وكانت رباطاً في عهد المرابطين، ثم بنى فيها عبد المؤمن بن علي مسجداً وقلعة وداراً للخلافة، وطورها من بعده الخليفة يعقوب المنصور واحاطها بسور وبوابات وكان ذلك في سنة ٥٩٣ه/١١٩٧م. للمزيد من التفاصيل عنها ينظر، السوسي: تاريخ رباط الفتح، ص٨ وما بعدها.

(٣٥) آبن خلدون: العبر، ٧/١٧٤.

(٣٦) آبن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٣٣٨.

(٣٧) المصدر نفسه، ص٣٤٠.

(٣٨) المصدر نفسه، ص٣٤٢-٣٤٣.

(٣٩) رحلة آبن جبير، ص٥٥-٥٦.

(٤٠) اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ٣/٣٦٣.

(٤١) ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، ص١٤١؛ وينظر، المقري، نفح الطيب، ٤/٣٨٠.

(٤٢) آبن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٤/١٨٣.

(٤٣) آبن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٢٧٥.

(٤٤) المَرَّاكِشي: المعجب، ص٢٨٥.

(٤٥) آبن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١٨٥.

(٤٦) سورة النساء، الآية ١٣٥.

(٤٧) المعجب، ص٣٦٢-٣٦٣.

(٤٨) آبن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٤٩.
(٤٩) أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاني تولى الوزارة في عهد الخليفة الموحدي المنصور ثم الناصر، وصف بأنه كان ذا رأي سديد وحكمة ومقدرة، تولى ولاية أفريقية سنة ٦٠٣ه/١٢٠٦م حتى وفاته سنة ٦١٨ه/١٢٢٠م. ينظر، التجاني: رحلة التجاني، ص٣٦٠.
(٥٠) العمري، مسالك الابصار في ممالك الامصار، ص٢٣.
(٥١) سورة الزمر: الآية ،٣١.
(٥٢) سورة فاطر: الآية، ٢٨.
(٥٣) الطبراني، المعجم الأوسط، ص٨؛ ابن الخطيب البغدادي، الرحلة في طلب العلم، ص٧٦؛ ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ص٧.
(٥٤) السيوطي، الجامع الصغير، ص١٦٨.
(٥٥) حسن، شفاء محمد: المدارس والمؤسسات التعليمية في عهد الموحدين، ص٥٦.
(٥٦) ابن تومرت، أعز ما يطلب، ص٣٣.
(٥٧) الكامل في التاريخ، ٢٩٤/٨.
(٥٨) الانيس المطرب، ص٢٢١.
(٥٩) العبر، ٢٢٦/٦.
(٦٠) البيذق: أخبار المهدي، ص١٦؛ المراكشي: المعجب، ص٢٤٧.
(٦١) ينظر، آبن عذاري: البيان، قسم الموحدين، ص١٦٤؛ آبن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٢٨٤؛ ابن أبي دينار: المؤنس، ص١٤١؛ اليافعي: مرآة الجنان، ٣١٦/٣.
(٦٢) نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، ص١٧٨-١٧٩.
(٦٣) الحلل الموشية في ذكر الأخبار الُمرَّاكِشية، ص١٥٠.
(٦٤) المعجب، ص٢٦٩.
(٦٥) هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صقر الأنصاري الخزرجي، أصله من الثغر الأعلى من سرقسطة، رحل إلى المغرب وانتقل بين مدن عدة حتى استوطن مرَّاكِش، كانت معارفه العلمية واسعه ، فقيل عنه إنه محدث، وفقيه، ومتقدمٌ في علم الكلام، كاتبٌ بليغٌ، وشاعرٌ محسنٌ، تولى مناصب عدة منها القضاء في غرناطة، وتولى أحكام مُرَّاكِش والصلاة بمسجدها، وأحكام بلنسية وقضاءها، وأسند له عبد المؤمن إدارة الخزانة العالية، توفي في مُرَّاكِش سنة ٥٦٩ه/١١٧٤م. ينظر، عبد الملك المَرَّاكِشي: ، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة ، ٢٢٣/١-٢٣٢؛أبن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ١٨٤/١-١٨٧.
(٦٦) أبن فرحون: الديباج المذهب، ١٨٦/١.
(٦٧) المنوني، محمد: العلوم والفنون والآداب على عهد الموحدين، ص٣٩.
(٦٨) النجار: ابن تومرت، ص٣٦٦.
(٦٩) غضبان، أكرم حسين: كتاب المن بالإمامة لأبن صاحب الصلاة مصدراً لدراسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية في عهد الموحدين، ص٨.

(٧٠) المَرَّاكِشي: المعجب، ص٣١١.

(٧١) ليون الأفريقي: وصف إفريقيا، ص١٣٣.

(٧٢) تاريخ الفكر الأندلسي، ص١٠.

(٧٣) المَرَّاكِشي: الذيل والتكملة ،٢٢٨/١؛ آبن فرحون: الديباج المذهب، ١٨٦/١.

(٧٤) آبن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص١٣٥، ص١٣٧، ص١٨٥.

(٧٥) آبن تومرت: أعز ما يطلب، ص٢٢٥.

(٧٦) أجلي قاعدة بلاد السوس الأقصى فتحت على يد عقبة بن نافع الفهري، تشتهر بكثرة البساتين لأنَّها تقع في أرض خصبة، فضلاً عن وجود نهر كبير، وتشتهر ببعض المحاصيل منها التمر والفواكه. ينظر، مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار في عجائب الامصار، ص٢١٢-٢١٣.

(٧٧) العبر، ٢٢٧/٦-٢٢٨.

(٧٨) الأنيس المطرب، ص٢٨٦.

(٧٩) المنوني: العلوم والفنون والآداب، ص١١٣ وما بعدها.

(٨٠) آبن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٢٢٠-٢٢١.

(٨١) ملاله قرية تقع بالقرب من بجاية باتجاه الساحل. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣١٣/٤.

(٨٢) البيذق: أخبار المهدي، ص١٣-١٤.

(٨٣) المصدر نفسه، ص٢٠.

(٨٤) المصدر نفسه، ص٢١.

(٨٥) المصدر نفسه، ص٢٢.

(٨٦) لم أجد لها ترجمة في المصادر الجغرافية المتوفرة بين أيدينا.

(٨٧) أخبار المهدي، ص٢٣-٢٤.

(٨٨) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص١٧٢-١٧٣.

(٨٩) المصدر نفسه، قسم الموحدين، ص١٧٤

(٩٠) المصدر نفسه، قسم الموحدين، ص١٧٣.

(٩١) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص٤٩٢.

(٩٢) بوتشيش، إبراهيم القادري: الأسواق في المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط، ص١٠٢.

(٩٣) آبن صاحب الصلاة: تاريخ المن بالإمامة، ص٤٤٨.

(٩٤) ابن أبي زرع: الانيس المطرب، ص٢٨٥.

(٩٥) معركة وقعت بين القوات الموحدية بقيادة أبي يوسُف يعقوب المنصور وقوات مملكة قشتالة بقيادة ألفونسو الثامن سنة ٥٩١هـ/١١٩٥م عند قلعة الارك التي كانت تمثل نقطة الحدود الفاصلة بين قشتالة والأندلس، واسم الارك هو تعريب لكلمة Alarcos الاسبانية، وكان النصر فيها حليف الموحدين، ومن نتائج هذه المعركة أنَّها وطدت وجود الموحدين في الأندلس، واضطر ألفونسو على أثر تلك الهزيمة طلب الهدنة. للمزيد من التفاصيل عن المعركة ينظر، آبن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٢٨٩-٣٠٠.

(٩٦) المَرَّاكِشي: المعجب، ١٦٣-١٦٤.

(٩٧) آبن عذاري: البيان، قسم الموحدين، ص٢٠٤.

(٩٨) آبن عذاري: البيان، قسم الموحدين، ص٢٢٨؛ وأيضاً كتاب التواريخ في أخبار ملوك الخضرة المراكشية، ص١٣١.

(٩٩) آبن عذاري: البيان، قسم الموحدين، ص٨١.

(١٠٠) المرَاكشي: المعجب، ص٣٦٤.

(١٠١) مدينة قديمة في الصحراء بالقرب من بلاد السودان، بناها عبد الله بن خطاب الهواري وسكنها هو وبنو عمه سنة ٣٠٦هـ /٩١٨م. الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٢٩٥-٢٩٦.

(١٠٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٢٤١/١١.

(١٠٣) كونكة أو قونكة: من مدن الأندلس التابعة لأعمال شنتبرية، وينسب لها العديد من رجال العلم، ينظر، ياقوت الحموي: ٤ / ٤١٥ .

(١٠٤) آبن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص٤١٦.

(١٠٥) لم نجد له ترجمة في المصادر سوى ما ذكره ابن صاحب الصلاة من أنه كان وزيراً. ينظر المن بالإمامة، ص٤١٦.

(١٠٦) آبن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص٤١٦-٤١٧.

(١٠٧) قنطرة أغربالة لم نجد ما يعرفها في المصادر الجغرافية.

(١٠٨) آبن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص٥٤٩.

(١٠٩) آبن عذاري: البيان، قسم الموحدين، ص٢٥٧-٢٥٨.

(١١٠) المصدر نفسه، ص٢٦٦-٢٦٧.

(١١١) المصدر نفسه، ص١٠٨.

(١١٢) من المدن التي بناها المسلمون في الأندلس والذي بناها عبد الرحمن بن مروان بأمر من الأمير عبد الله. ينظر، الحميري: الروض المعطار، ص٩٣.

(١١٣) المن بالإمامة، ص٤١٩.

(١١٤) آن تومرت: أعز ما يطلب، ص٢٦١.

(١١٥) آبن صاحب الصلاة، المن بالإمامة، ص١٩٣-١٩٤.

(١١٦) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص٢٣٦.

(١١٧) آبن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٢٧٠؛ ابن أبي دينار: المؤنس، ص١٤٠.

(١١٨) آبن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص٤٩٨.

(١١٩) آبن القاضي: المنتقى المقصور على مأثر الخليفة المنصور، ص١٩٢.

(١٢٠) المعجب، ص٣٦٢.

(١٢١) آبن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالإمة، ص١٩٦-١٩٧؛ وينظر، بنمليح، عبد الإله: الرق في بلاد المغرب والأندلس، ص٤٨٣.

(١٢٢) سورة التوبة، الآية، ١٨.

(١٢٣) البخاري، صحيح البخاري، ١١٦/١؛ ابن ماجه، محمد بن يزيد: سنن آبن ماجه، ١٢٠٦/٤

(١٢٤) البيذق: أخبار المهدي، ص١٣، ص١٨، ص١٩.

(١٢٥) تازا مدينة في المغرب تفصل بين المغرب الأقصى والمغرب الأوسط، بني فيها رباط على سفح جبل واسع، كثيرة الأشجار والمياه. ينظر: الحميري، الروض، ص ١٢٨.

(١٢٦) آبن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٢٤١؛ السلاوي: كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ٥٤/٣.

(١٢٧) الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، ص٣٧٢-٣٧٣.

(١٢٨) ابن أبي زرع: الانيس المطرب، ص٢٤٣.

(١٢٩) مؤلف مجهول: ص٢٠٩.

(١٣٠) مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص١٤٤.

(١٣١) البيذق: أخبار المهدي، ص٦٦؛ مؤلف مجهول: الحلل الموشية، ص١٤٤.

(١٣٢) تينملل حصن يقع في جبل فازاز بناه وعمره ابن تومرت. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج ١، ص ٤٧٣؛ الحميري، الروض، ص٤٣٥. ويعرف هذا الحصن بالمدينة البيضاء وهو أمنع وأحصن قلعة في بلاد المغرب؛ ينظر: مجهول، مؤلف، الاستبصار في عجائب الامصار، ص ٢٠٨.

(١٣٣) آبن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص١٨٩؛ وذكر آبن أبي زرع أنَّه أمر بتوسيع وبناء المسجد كان في سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م، ونحن نرجح ما ذكره ابن صاحب الصلاة لقربه من الدولة الموحدية. ينظر: الأنيس المطرب، ص٢٥٣.

(١٣٤) آبن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٢٥٥.

(١٣٥) المصدر نفسه، ص٢٧٧.

(١٣٦) آبن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص٥١٠-٥١١.

(١٣٧) المصدر نفسه، ص٥١٠-٥١١.

(١٣٨) المصدر نفسه، ص٥١٠-٥١١.

(١٣٩) المصدر نفسه، ص٥١٤.

(١٤٠) مؤلف مجهول: الاستبصار، ص٢٠٩.

(١٤١) المن بالإمامة، ص٣٩٠.

(١٤٢) آبن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص٢٣٢؛ آبن عذاري: البيان، قسم الموحدين، ص١٦٥.

(١٤٣) آبن أبي زرع: الأنيس المطرب، ص٣٠٧.

(١٤٤) أقدم مدن الأندلس بناءً وبينها وبين قرطبة مائة فرسخ، ومعنى باجة الصلح، نزلها جند مصر عندما فتحها المسلمون. ينظر، الحميري: الروض المعطار، ص٧٥.

(١٤٥) آبن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص٢٣٢؛ آبن عذاري: البيان، قسم الموحدين، ص١٣٣.

(١٤٦) إبراهيم بن مفرج بن همشك خرج على طاعة الموحدين في شرق الأندلس، ثم اعترف بدعوتهم سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م وأصبح يعمل لخدمتهم، وكان يضرب به المثل في السطوة والقتل، إذ كان يرمي أهل الجنايات من أماكن مرتفعة. للمزيد من التفاصيل ينظر، آبن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص٤١٢-٤٢٣؛ آبن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ، ٥٢/٢.

(١٤٧) المن بالإمامة، ص٤٨١.

(١٤٨) آبن عذاري: البيان، قسم الموحدين، ص١٦٥.

(١٤٩) آبن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص٤٨١.

(١٥٠) آبن صاحب الصلاة: المن بالإمامة، ص٢٣١، ٤٩٦؛ آبن عذارى: البيان، قسم الموحدين، ص٩٥، ١٣٨؛ آبن ابي زرع: الأنيس، ص٢١١؛ السلاوي: الاستقصاء، ١٥١/٢.

(١٥١) المن بالإمامة، ص٤٩٦-٤٩٧.

(١٥٢) المصدر نفسه، ص٥٠٥.

(١٥٣) ابن أبي زرع: الانيس المطرب، ص٣٠٧.

(١٥٤) آبن خلِّكان: وفيات الأعيان، ٩/٦؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٠٤/٢٨، ٨/٢٩؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ٢٢٨/٤٢.

(١٥٥) جنى زهرة الآس في مدينة فاس، ص٤٣-٤٤.

(١٥٦) المعجب، ص٣٦٤-٣٦٥.

(١٥٧) الاستقصا، ١٣٥/٢.

(١٥٨) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ص٤٩١.

(١٥٩) عبد الملك المراكشي: الذيل والتكملة، السفر الثامن، القسم الأول، ص١٩٤؛ ابن عذاري: البيان المغرب، قسم الموحدين، ص٢٨٩.

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم.

❖ **ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)**

١- الكامل في التاريخ، (دار صادر، بيروت، ١٩٦٧م).

ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد الغرناطي (ت ٨٠٧هـ/١٣٠٦م)

٢- روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، (المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٢م).

❖ **الادريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد المعروف بالشريف (ت ٥٦٠هـ/١١٥٤م)**

٣- نزهة المشتاق في اختراق الافاق، تحقيق محمد الحاج صادق، (دمشق -١٩٨٣م).

ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم (ت٦٦٨هـ/١٢٦٩م)

٤- عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ضبطه وصححه ووضع فهارسه محَّمد باسِل عُيون السُّود (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م).

❖ **البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت٢٥٦هـ/٨٦٩م)**

٥- صحيح البخاري، (دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م).

❖ **البكري: أبو عبيد الله بن عبد الله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ/١٠٩٤م)**

٦- جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب (المسالك والممالك)، تحقيق عبد الرحمن الحجي، (دار الإرشاد للطباعة، بيروت، ١٩٦٨).

❖ **البيذق، أبو بكر بن علي الصنهاجي (توفي في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)**

٧- أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، (دار المنصور، الرباط، ١٩٧١م) .

التجاني، أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد (توفي بعد ٧١٧ه/١٣١٦م)

٨- رحلة التجاني، قدم لها حسن حسني عبد الوهاب، (تونس، المطبعة الرستمية، ١٩٥٨م).
❖ **ابن تومرت، محمد بن عبد الله**
٩- أعز ما يطلب، تقديم عبد الغني أبو العزم، مطبعة دليلتي، مراكش، ١٩٩٧م) .
❖ **ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م).**
١٠- رحلة ابن جبير، (دار صادر، بيروت، د.ت) .
❖ **الجزنائي، أبو الحسن علي (ت ٧٥٠ هـ/ ١٣٤٩م)**
١١- جنى زهرة الآس في مدينة فاس، تحقيق عبد الوهاب بنمنصور، (ط٣، المطبعة الملكية، الرباط، ٢٠٠٨م) .
❖ **الحطاب، هبة الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٥٤هـ/١٥٤٧م)**
١٢- مواهب الجليل، حققه وضبطه وأخرج آياته وأحاديثه الشيخ زكريا عمران، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م) .
❖ **الحميري، محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ت حوالي٧٢٧هـ/١٣٢٦م)**
١٣-الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، (ط٢، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤م).
الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي(ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)
١٤- الرحلة في طلب العلم، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥ه/١٩٧٥م) .
❖ **ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م)**
١٥- تاريخ ابن خلدون (المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ٢٠٠٣).
❖ **ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد(ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)**
١٦- وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، (دار صادر، بيروت، (د.ت)) .
❖ **ابن أبي دينار، محمد بن أبي القاسم الرعيني (كان حيا سنة ١١١٠هـ/١٦٩٨م)**
١٧- المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، (ط٣، دار المسيرة، لبنان، ودار سعيدان، تونس، ١٩٩٣م) .
❖ **الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت٧٤٨هـ/١٣٧٤م)**
١٨- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدميري، (ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٩م).
❖ **ابن أبي زرع، ابو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (توفى بعد سنة ٧٢٦ه/)**
١٩- الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، راجعه عبد الوهاب بنمنصور، (ط٢، المطبعة الملكية، الرباط-١٩٩٩م) .
❖ **السجستاني، أبو داود سليمان ابن الأشعث (ت ٢٧٥هـ / ٨٨٨م)**
٢٠- سنن أبي داود، تحقيق سعيد محمد اللحام (ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٠م) .
ابن سعيد، علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك (ت٦٨٥هـ /١٢٨٦م)
٢١- المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، (ط٣، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٥م)، ٥٢/٢.
❖ **السلاوي: أحمد بن خالد الناصري (ت١٣١٥هـ/١٨٩٧م)**
٢٢- كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، (منشورات وزارة الثقافة، الرباط ،٢٠٠١م).

❖ **السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن(ت٩١١هـ/١٥٠٥م)**

٢٣-الجامع الصغير، (دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م) .

❖ **ابن صاحب الصلاة، عبد الملك بن محمد بن احمد بن محمد بن ابراهيم (ت٥٩٤هـ/١١٩٧م)**

٢٤- تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بإن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين وظهور الإمام المهدي بالموحدين على الملثمين وما في مساق ذلك من خلافة الإمام أمير المؤمنين وأخير خلفاء الراشدين، تحقيق عبد الهادي التازي، (بغداد، ١٩٧٩م).

❖ **الصفدي، صلاح الدين بن آيبك(ت٧٦٤هـ/١٣٦٣م)**

٢٥- الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، (دار أحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م).

❖ **الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت٣٦٠هـ/٩٧٠م)**

٢٦- المعجم الأوسط، تحقيق قسم التحقيق بدار الحرمين، (دار الحرمين للطباعة والنشر، مكة المكرمة، ١٩٩٥م).

❖ **ابن عبد البر، أبو عمر يوسف القرطبي(ت٤٦٣هـ/١٠٧٠)**

٢٧-جامع بيان العلم وفضله، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨ه/١٩٧٨م).

❖ **آبن عبد الملك المراكشي: أبو عبد الله محمد بن محمد (ت٧٠٣هـ/١٣٠٣م)**

٢٨-الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق محمد بن شريفه، (دار الثقافة، بيروت، "د.ت") .

❖ **عبد الواحد المراكشي، بن علي(ت٦٤٧هـ/١٢٤٩م)**

٢٩- المعجب في تلخيص اخبار المغرب، تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي، (القاهرة-١٩٦٣م).

❖ **ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد (كان حياً في ٧١٢هـ/١٣١٢م)**

٣٠-البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني (واخرون)، (ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٥م) .

٣١-كتاب التواريخ في أخبار ملوك الحضرة المراكشية، عنى بتصحيحه سليمان عبد الغني مالكي، (ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠١٢م).

❖ **ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩هـ / ١٦٧٨م)**

٣٢-شذرات الذهب في أخبار من ذهب، (دار الفكر، بيروت، د.ت) .

❖ **العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت٧٤٩ه/١٣٤٨م)**

٣٣- مسالك الابصار في ممالك الامصار، تحقيق وتعليق مصطفى أبو ضيف أحمد، (بلا، ١٩٨٨م)

❖ **أبن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد (ت ٧٩٩هـ / ١٣٩٦م)**

٣٤-الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق علي عمر، (ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٣م).

❖ **ابن القاضي المكناسي، أحمد بن محمد بن أبي العافية الفاسي(ت١٠٢٥هـ/١٦١٥م)**

٣٥-جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الاعلام مدينة فاس، (دار المنصور، الرباط، ١٩٧٣م)

٣٦- المنتقى المقصور على مأثر الخليفة المنصور، دراسة وتحقيق محمد مرزوق، (مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٨٦م).

❖ **القزويني: زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ/١٢٨٣م)**

٣٧- آثار البلاد وأخبار العباد، (دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م) .

❖ **أبن القطان، أبو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي**

٣٨- نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، (ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م).

❖ **لسان الدين ابن الخطيب، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن أحمد السلماني (ت٧٧٦هـ/١٣٧٤م)**

٣٩-تاريخ المغرب في العصر الوسيط القسم الثالث من كتاب أعمال الاعلام، تحقيق أحمد مختار العبادي، ومحمد إبراهيم الكتاني، (دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٦٤م) .

❖ **ليون الأفريقي، الحسن بن محمد الوزان (توفي بعد عام ٩٥٧هـ/**

٤٠- وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، (ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م) .

❖ **ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ/٨٨٦م)**

٤١- سنن ابن ماجه، (ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٢م).

❖ **المقري، أحمد بن محمد بن أحمد (ت١٠٤١هـ/١٦٣١م)**

٤٢- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، (دار صادر، بيروت، ١٩٩٧م).

❖ **مؤلف مجهول (كان حيا في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي).**

٤٣-كتاب الاستبصار في عجائب الامصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، (دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٥م) .

❖ **مؤلف مجهول (كان حيا في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي)**

٤٤- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار، عبد القادر زمامة، (دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٧٨م).

❖ **اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت٧٢٨هـ/**

٤٥- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه خليل المنصور، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م).

ثانياً: المراجع

❖ **بالنثيا، أنخل جنثالث**

٤٦- تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، (ط١، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٥م).

❖ **بنمليح، عبد الاله**

٤٧-الرق في بلاد المغرب والأندلس، (ط١، الانتشار العربي، بيروت، ٢٠٠٤م).

❖ **بوتشيش، إبراهيم القادري**

٤٨-الأسواق في المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط تنظيماتها ومعطياتها الإحصائية، ضمن كتاب إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي، (ط١، دار الطليعة، بيروت، ٢٠٠٢م).

❖ **السوسي، عبد الله**

٤٩- تاريخ رباط الفتح، (ط١، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، ١٩٧٩م).

❖ **علام، عبد الله علي**

٥٠- الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي (دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م).

عنان، محمد عبد الله عنان

٥١- دولة الإسلام في الأندلس في الأندلس (عصر المرابطين والموحدين، عصر الموحدين)، (ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٠م).

❖ **المنوني، محمد**

٥٢- العلوم والفنون والآداب على عهد الموحدين، (ط٢، الرباط،١٩٧٧م).

❖ **موسى، عز الدين عمر**

٥٣-الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١).

❖ **النجار، عبد المجيد**

٥٤- المهدي بن تومرت، (ط١، دار الغرب الإسلامي، طرابلس، ١٩٨٣م)

❖ **هنتس، فالتر**

المكاييل والاوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي (عمان، ١٩٧٠م).

ثالثاً: الرسائل الجامعية

❖ **حسن، شفاء محمد**

٥٥- المدارس والمؤسسات التعليمية في عهد الموحدين، رسالة ماجستير غير منشورة، (جامعة بغداد، كلية الآداب).

❖ **غضبان، أكرم حسين**

٥٦-كتاب المن بالإمامة لأبن صاحب الصلاة مصدراً لدراسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية في عهد الموحدين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة، كلية الآداب، ٢٠٠٠م.